

عبد الوهاب المودب

قبر ابن عربي بجانب آية



ترجمة: محمد بن تليس



المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة

قبر ابن عربي
يليه
آلاء



١٩٩٩

العنوان الأصلي للديوانين

Tombeau d'Ibn Arabi

Sillages, 1987

2^{è^me} édition Fata Morgana, 1995

Les 99 stations de Yale

Fata Morgana, 1995

عبد الوهاب المؤدب

قبر ابن عربي

إليه

آلاء

تتبع

ترجمة محمد بنيس

قبر ابن عربي

عشق يفاطر بالمتاهات

تسمية ديوان عبد الوهاب المؤدب باسم قبر ابن عربي يعود إلى تقليد أروبي منتشر في أعمال شعراء منذ القرن السابع عشر. وقد أصبحت هذه التسمية، ابتداء من بودلير وملازمي، تكتسب دلالة تتجاوز غرض الرثاء. إنها تدل، قبل كل شيء، على تقاطعات شعرية بين تجارب ذات تجاوبات جمالية - فكرية. وهذا التقليد مستمر حتى اليوم. ولربما كان «قبر أبولينير»، للشاعر الأميركي ألن غينزبيرغ، علامة على هذه الاستمرارية في التجاوبات.

علينا، إذن، أن نتخلص من المقابلة بين قبور الشعراء وغرض الرثاء. بذلك يمكننا أن نفتح على كتابات خصت الشعراء الأموات بقبور هي الذهاب إلى أبعد المناطق في الكتابة. وعبد الوهاب المؤدب يختار الطريقة ذاتها وهو يستدعي ابن عربي. كتابته وحدها تدلنا على خصيصية التقاطعات. في الكتابة نكون في حضرة ترجمان الأشواق على منوال لم يكن ليخطر على بال ابن عربي، الذي يذكر في مقدمة ديوانه أنه. لما نزل مكة سنة خمسمائة وثمان وتسعين، التقى الشيخ أبا شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجا الأصفهاني، وكان لهذا الشيخ «بنت عذراء، طفيلة هيفاء، تقيد النظر، وتزين المحاضر والمحاضر، وتحير المناظر، تسمى

بالنظام وتلقب بعين لشمس والبها. عابدة عالمة سايحة زاهدة. في هذه
البيت كتب ابن عربي غزلاً أودعه الديوان.

بين ابن عربي وعبد الوهاب المؤدب ثمانية قرون. كما أن بينهما فارق
اللغة. شهادة على تبدل الزمن (التاريخي والثقافي) وعلى تبدل العاشق
والعشيقة. لذلك فإن قبر ابن عربي إعادة كتابة حديثة لتجربة العشق، في
زمن لم يعد يلتفت للعشق ولا للعشاق. لقاء يتحقق بعد ثمانية قرون،
عبر تجربة شعرية تنفذ مباشرة إلى الزمن الشعري، الذي لا يتوقف عند
الزمن التقني، التاريخي. ما يميز ترجمان الأشواق هو استدعاؤه فضاء
الصحراء، كما هي مكتوبة في القصيدة الجاهلية. عودة لا تبعاً قليلاً أو
كثيراً بمواقف الشعراء المتأخرين، المحدثين، الذين انتقلوا بشعرهم من
بادية الصحراء إلى حضر المدينة. وعبد الوهاب المؤدب يستحضر الفضاء
ذاته في ديوانه. فهو فضاء الأبدى وفضاء اللانهائي، كل منهما يأخذ بيد
غيره نحو توالد الدلالات من رجم التجربة الكتابية، كتجربة للسفر في
اللامسمى، على غرار أعرق الكتابات.

يبدأ قبر ابن عربي بكلمة «أطلال». وهي العلامة الأولى على طريق
إعادة الكتابة كما على طريق القراءة. وعبر إحدى وستين مقطعاً يترسل
الديوان في نفيس إنشادي، متوقد، متوتر حيناً، متموج حيناً آخر، دون أن
يتخلى التمازج بين حالات العشق عن التوقف في مرتبط معلوم. ونحن من
مربط إلى آخر نستحث النفس لتتبع العابر، الرحال، من صحراء إلى

صحراء، مفتونين بالشهوة والمكابدة. أثناء ذلك تبدو سماء الكتابة أعلى
السموات. طبقات من الحساسية تتداخل وتختلط. والنشيد ما يبقى لنا
ونحن نغير المواقع تائهين. كل المقطعات تتوالى على أثر اللأتهائي في.
العبارة، وهي تلاحق صرامة ما يلزم من الكشف والانتكشاف. حالة عشقية
بامتياز.

لم يهدف عبد الوهاب المؤدب، بذلك، إلى إحياء سنة المعارضة.
إنه يخطف الأثر ليُلقي به بعيداً، في جهة مجهولة من الذات ومن الكتابة.
في المجهول، في دروب مُبهمة لا تُفصح دائماً عن نهاية للجمال
الساطع. تجربة الداخل تتوازى مع تجربة الخارج. في التمازج بينهما،
في الالتفاتات، في الحمى، تظل الحبيبة لصيفة بقلب متولّ، لا شرق له
ولا غرب. جمره العاشقين تمتلئنا مثلما تمتلئ فضاء الديوان. حرارة
الرياح أو احتراق الأحشاء شيء مما يجعلنا مزيّنين بالحروف اللأتهائية
للكتابة، حتى لا قدرة لنا على التنفس أو مقاومة ما يُمحي من علامات
الطريق، ونحن إلى الهلاك سائرون، نزل المنحدرات، فقراء، مجردين
من الثياب.

يفعل القناديل الموزعة على المقطعات، يصبح قبر ابن عربي مشروع
كتابة تخرق اللغة لتدل على اللامسمى في الكتابة. فعل الاختراق هو
فعل القبر. أعني اختراق الحدود التي يُحتمل أن يُحيلنا عليها ترجمان
الأشواق. فالأمر، هنا، لا ينحصر في استدعاء الصحراء أو البهية النظام

ولا حتّى المعرفة الإشرافية لمحيي الدين ابن عربي .
كتابة القبر تتمّ، هنا، بالفرنسية . وإذا كان الأثر الأول مكتوباً بالعربية فإن الفرنسية تنتقل من وضعية التعبير إلى وضعية الكتابة . تقسيم الجملة يخضع للنفس أولاً . وهو نفس متشكّل من استعمالٍ للفاصلة استعمالاً لا وجود له خارج هذا العمل . ذلك هو الإمضاء الشخصي الذي لا يفارقها . يذمّغها . ويحرّرها من الشّبه . وللكتابة تركيبها الذي يبتعد عن أن يكون نحويّاً . مسار الكتابة وحده يرصد لها التركيب المفاجئ ، المتقطع ، الهاذي . إنها شعرية المحجّوب الذي يضاعف اللامُسمّى ، ويحوّله إلى سرّ علبه تقوم تجربة الكتابة . من العربية إلى الفرنسية ، ومن عمل شعري يلتزم معايير القصيدة العربية القديمة إلى عمل يبحث عن حداثة كتابة في لغة تطلّب من كاتبها الخضوع إلى القواعد الديكارتية . في الانتقال يكفّ العمل الشعري عن استيعاء الأثر الأول لكي يصبح بدوره أثراً مستقلاً بنفسه ، بين لغتين ، بين كتابتين ، وبين تجربتين .

ربما كان انتفاء الحدود ، في هذا الديوان ، هو ما استحوذ عليّ وأنا أقرأه ثم وأنا مُقبل على ترجمته . لم أكن أعرف ، بالضبط ، أين تنتهي العربية وأين تبدأ الفرنسية . سمة تخص الأعمال الشعرية التي جربت اختراق الحدود ، مُنقادة بالعطش الأصلي نحو اللاتهامي في الكتابة . وقد تطلّب النقل إلى العربية حواراً مع الديوان ومع مؤلفه (الذي قام بمراجعة الترجمة) ، لأن الترجمة في هذه الحالة هي العودة واللاعودة في آن ،

بمعنى أن نقلَ قبر ابن عربي إلى العربية لا يتحقق إلا في كتابة عربية
تسمى بدورها. لأن تكتسبَ وضعية المضاد للحدود. الترجمة، في حالة
ك هذه، كتابةٌ. كان لأبد من مراعاة تاريخية المعجم العربي، كلما كان
ذلك مطلوباً من العمل الشعري، وأيضاً من استدراج المعاجم غير العربية
بكل دقة، حتى يمنع المضاد نفسه ويندمج في نسيج المكتوب، بعناية
صارمة. تلك هي الترجمة داخل الترجمة، حينما يكون الشاعر مترجماً.
إن الشاعر المترجم هو من يتخذ من الترجمة فعلاً كتابياً، لا تنازل
فيه عن ممارسة تظل متخفية في كتابته على الدوام. وقد عودنا شعراء
الحدائث في العالم على تحويل الترجمة إلى مختبر للكتابة. وأعتقد أن
قبر ابن عربي في العربية اقترابٌ من عمل شعري لشاعر يكتب بلسانين،
وهي الممارسة ذاتها التي تبنّاها الشاعر العربي الحديث الكاتب بلغة
العربية. إنه اقترابٌ يساعدنا في طرح السؤال مُجدداً عن الكتابة، اقترابٌ
لا يفارق ما أقدم عليه شعراء وكتاب عرب قلة في اقتحام المابين، مكاناً
للسفر بين لغتين، بين متخيلتين، من أجل رجّ الحدود واختراقها.
فالكتابة لا تؤدي إلى مكان بل تُزويجُ الأمكنة. وهي، سيدة مترنحة، في
اللاشيء الغامض تُقيم.

محمد بنيس

25 مارس، 1999

(1)

أطلالٌ، تذكّرها، بلادٌ للإهمال، تُرابٌ، ملجأٌ للتائهين،
بالصدى يختلطُ الصوتُ، انظرُ إلى الإنسانِ في الكهفِ، ها
هو الجلمودُ مرآةً، خلاءٌ خلاءً، هذا انتظاري حتى تسحَّ
الغيومُ دموعها، انتظاري حتى تتكلمَ الزهورُ، أنادي، لا
مُجيبَ، تُنصتُ الحجرةُ إلى حمائي، كم قمرأ في البشر
ملقى، كم شمساً من النسيانِ تخرجُ، تلمسُ الشجرةُ
السما، والشرارةُ تخطُّ نجمةً، تلكَ التماعاتُ ملبدةٌ في
الظلماتِ، على أنفِ جبالِ الجنوبِ، تلمسُ الرياحُ الرعدَ،
في الطريقِ، أدفعُ حباتَ مسبحةٍ من الجواهرِ، فيما النوقُ
السوداءُ تقطعُ الجبالَ والهضابَ، يغمُرُ الرملُ آثاري، على
الكُبانِ، راوونَ تائهونَ في ظلِّ الحدائقِ، قيظُ الصيفِ،
ابتسامةُ النساءِ، الباعثاتُ تقاليدَ الدُمى، فكم دروباً مبهمَةً،
أيتها الذّاكرةُ، أيتها السرُّ، يتبدّى الضوءُ هارباً، في الدخيلةِ
يتعالى إحساسٌ قديمٌ، يفرّقُ.

(2)

بِأَيِّ الْكَلِمَاتِ تَنْطِقُ، أَيَّ أَذْغَالٍ تَطَأُ، فِي الطُّمَأْنِينَةِ، فِي
الْهَلَاكِ، مَنْ الْحُبُّ مُتَوَلِّهَاً، فِي إِثْرَهَا تَجْرِي.

(3)

انْسَحَبْتُ إِذْ بَدَتْ، حَمَلْتُ عُطُورَهَا وَتَوَابِلَهَا، فِي فَجْرِ
الطَّوَاوِيسِ، انْسَسَ الْوَقْتُ، يُعْمِي الْعَرْشُ فِي الرُّؤْيَا، تَتَرَنَّحُ
السَّيْدَةُ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الْبِلُورِ، تَرْفَعُ ثَوْبَهَا، شَمْسٌ تَهْجِجُ
أَلْوَانَ النَّهَارِ، عَيْرُهَا بِالْفَرَحِ يَأْتِي، كَغَبُّهَا مُفَضَّضٌ، سَاقَاهَا
مُرْتَعِشَتَانِ، عِنْدَ كُلِّ خُطْوَةٍ، تَبْعُثُ بِالرَّسَائِلِ إِلَى شُعُوبِ
الْعَطَشِ، مَطِيَّةُ الرَّحَالِ، مَسْكُنُ الْعَابِرِ، حِينَمَا تُهْدِيكَ
الْحَمِيمِيَّةَ، تَنْفَتِحُ لِذَاكَرَتِكَ، وَتَقْتَلِعُكَ مِنْ أَبْوَةٍ، فِي لَيْلَةٍ،
تَضَعُكَ عَلَى طَرِيقِ السَّرِّ، تُلْغِي الطَّقُوسَ الْمُلْجِمَةَ لِلرَّغْبَةِ،
فِي كُلِّ قَصْرِ لَهَا اخْتِفَاءً، فِي كُلِّ مَعْبَدٍ، هِيَ مُجَدُّ كُلِّ
كِتَابٍ، عِنْدَ ذَهَابِهَا نَادَيْتُ وَلَا جَوَابَ، كَوْمَةٌ بَعْدَ كَوْمَةٍ، جَفَّ
صَبْرِي، مِنْهَا اخْتَفَظْتُ بِالْجَمَالِ السَّاطِعِ فِي أَشَدِّ تَلَاعُبَاتِي،
وَفِي دَاخِلِي تَنْتَشِرُ رَعِشَةُ الْمَلَائِكَةِ.

سلامٌ عليك أَيُّهَا الْمُحِبُّ، الْيَتِيمُ، الصَّدِيقُ، الْمُخْتَفِي فِي
 غَمْرَةِ الْأَلَمِ، عُدْ إِلَى الضُّوءِ الْمُرِنِّ، الْمُنْبِثِ مِنَ النَّبْعِ،
 أَنْتَ، أَيُّهَا الْمُتَوَحِّدُ، الَّذِي تُهْدِي صَوْمَكَ، تَوْبَتَكَ،
 تَمَارِينَكَ، فُصُولَكَ، أَنْتَ تُغَادِرُ خَلُوتَكَ الْآنَ، تَخْرُجُ مِنْ
 فَصْلِ الْأَمْطَارِ، فَلَا تَتَرَجَّعُ عَنْ يَوْمِ اللَّقَاءِ، لَا تَطْفُفُ بِالسَّرِيرِ
 الْمُقْبَبِ مِنْ حَيْثُ تَتَدَلَّى السَّائِرُ مَرْتَحِيَةً، مَعْبُدٌ تُغَطِّيهِ نَتَانَةُ
 الذَّبِيحَةِ، عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الْبُحَيْرَةِ الَّتِي تَعَكْسُ زُرْقَةَ السَّمَاءِ،
 قَلْبُكَ قَنْدِيلٌ يَحْتَرِقُ، تَقْذِفُ الْجَمْرَةَ بِكَامِلِ يَدِكَ، حُنْجُرُتُكَ
 تُعْطِي الْمَاءَ إِيقَاعَهُ، مُنْبِثًا مِنْ خَارِجِ الصَّخْرِ، وَأَنْتَ يَا
 حَاذِي التُّوقِ الْوَدِيعَةِ، أَنْكِسِ اللَّوَاءَ بِالْقَرَبِ مِنَ الْمِسْلَةِ،
 هُنَاكَ، فِي مُلْتَقَى الطَّرِيقِ، تَوَقَّفْ عِنْدَ مَنْعَرَجِ الْمَسَارِ،
 اسْتَرَحْ سَاعَةً وَسَلِّمْ، قَبْلَ التَّوَجُّهِ نَحْوَ الْقِبَابِ الْحَمْرَاءِ،
 الْمُتَرَائِيَةِ مِنْ بَعِيدٍ، عِنْدَ أَفْقِ الْحُمَى، سَلَامٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا
 الْمُحِبُّ، الْيَتِيمُ، الْكَثِيبُ، إِنْ نَحْنُ عَلَيْكَ رَدَدْنَا السَّلَامَ
 فَلْتَكُنْ هِبَتُكَ جَمَالًا وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَنْطِقْ، فَاتَّبِعْ طَرِيقَكَ،

اقطع النهر، لا تكلم الرعيّة، القبيلة، مرّ بين الخيام
البيضاء، التي تنشر ظلالها على الشفاه المالحه، وناد على
العشيقات جميعاً، جودية وآباء، هند وهير، اطلب منهن أن
يدلّكنك على الطريق، على البياض الساطع المتألّي، بين
الذرى.

(5)

استقبلِ التي، تنزلُ، من بينكم، أثناءَ مرورها تشرُّ تبراً
يُعمي، فهي تتوقَّفُ، قبل أن تفتحَ البابَ المغلوقَ، فيما الليلُ
يرخي ستارتهُ، تقولُ لها، مرحباً بكِ، أيتها الأنيقةُ، الغريبةُ،
الفاتنةُ، مُستمنعاً في اسمكِ أدخلُ، في حرمِ رغبتكِ أظلُّ
أسيراً، أنا هدفاً، تُصيبي نبالك، بالحجرِ الصلدِ أتيِّمُ،
تكشفُ عن ساعديها، يشقُّ الوميضُ أعمقَ ما في الليلِ،
تقولُ، ما الذي يُريدُ، ألسنتُ الصورةَ، التي لا تبحرُ قلبه،
ألا يكفيهِ أن يتأملني، في كلِّ مكانٍ، في كلِّ وقتٍ؟

(6)

فِي وَقْدَةِ الرُّؤْيَا تُنَادِينِي ، مُتَّهِمَةً إِيَّايَ ، أَيُّهَا الْمُتَسَكِّعُ ، مِنْ
صَحْرَاءَ إِلَى صَحْرَاءَ ، إِنِّي ذَاهِبٌ مِنَ الْأَقْصَى إِلَى الْأَقْصَى ،
فَلَا زَمَنٌ يَلْمِلُمْنِي ، مَا الْعَمَلُ ، بِلَا التَّامِ ، دُلِّي عَلَى الطَّرِيقِ ،
أَنْتِ جَاذِبَتِي ، لَا تَكْثِرِي عَلَيَّ مِنَ الْمَلَامِ ، فَالشُّعْلُ تَبْلُغُ
الْأَعَالِي ، الدَّمُوعُ تَحْفِرُ الْخَدَيْنِ ، يُوجِّلُ الْمَنْفِيُّ عَوْدَتَهُ ، عَلَيْهِ
الْمَشْيُ يَضَعُبُ فِي الْمَتَاهِ ، لَا مَسْكَنٌ يَظِلُّ مَأْمُولًا ، وَهِيَ
مُتَرَنَّحَةٌ فِي اللَّاشِيءِ الْغَامِضِ .

(7)

فِي اللَّيْلِ تَرَى بُرُوعَ حِدَادٍ، يَسْكُنُ شِغَابَ الْقَلْبِ، قُلْتُ لَهُمْ
كَيْفَ الْعُثُورُ عَلَى الذَّاهِبِينَ، كَانَ الْجَوَابُ، لَقَدْ اخْتَارُوا
الْإِقَامَةَ، هُنَاكَ، حَيْثُ لَا نِهَايَةَ، قُلْتُ لِلرَّيِّحِ، اذْهَبِي
والتَّحِقِي بِهِمْ، إِنَّهُمْ يَتَفَيَّأُونَ عِنْدَ ظِلِّ شَجَرَةٍ، نَآتٍ عَنْ
شَرْقِهَا عَنْ غَرْبِهَا، وَابْعَثْ لَهُمْ ذِكْرِي مَنْ لَا عَزَاءَ لَهُ، لَا بَسًا
خِرْقَةً الْفِرَاقِ.

وَمِنْ كُلِّ جَانِبٍ دَفَعْتَنِي السَّيِّدَاتُ، الْقَادِمَاتُ مِنَ الْبَعِيدِ
لِزِيَارَةِ الْأَمْكِنَةِ، أَحْطَنَ بِي، وَوَقَيْتَنِي مِنَ الشَّمْسِ، فِي الظِّلِّ،
قُلْنَ لِي، كُنْ مُهَيَّأً، نَعْلِكَ اخْلَعُهُمَا، تَعْلَمُ كَيْفَ تَعِيشُ
لَحْظَةَ انفِصَالِ نَفْسِكَ عَنِ الْجَسَدِ، كَمْ مِنْ رِجَالٍ طَهَّرْنَهُمْ،
مُشِيرَاتٍ عَلَيْهِمْ بِالْجَرِيِّ، عَلَى حَقْلِ مِنَ الْجَمْرِ، مُحْتَضِينَ
أَشْوَاكَ الْوَادِي، مُتَرَنِّحِينَ فِي أَوْجِ الشَّمْسِ، عَابِرِينَ
تَجَمُّعَاتِ الْحَشَرَاتِ، بِأَسْرَابٍ مِنْهَا تُغْطِي التَّلَالَ، أَلَا تَعْلَمُ،
أَنَّ الْجَمَالَ يَخْتِطِفُ الْإِنْسَانَ، وَيَقْدِفُ بِهِ إِلَى الزَّوَابِعِ، الَّتِي
تُعْرِي، سَاعَثُرَ عَلَيْكُمْ فِي السَّاعَةِ الْمَوْعُودَةِ، وَرَاءَ الْوَادِي
الْجَهَنَّمِيِّ، هُنَاكَ، خَلْفَ ضَرْبِ، تَتَحَدَّى قُبَّتُهُ السَّدِيمَ،
هُنَاكَ حَيْثُ يَسْهَرُ مَنْ ذَاقَ الشَّطْحَ، عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ نِسَاءِ
يُفْحَنَ مِسْكَاً وَعَنْبَرًا، يُطْلَقْنَ، بِاخْتِشَامِ شُعُورِهِنَّ، قُمَاشاً
مَغْمُوقاً، يَحْجُبُ الْوُجُوهَ.

وَلَى شَبَابُهُمْ، آثَارُهُمْ انْدَثَرَتْ، مُقَامُهُمْ أَقْفَرٌ، لَكِنَّ وَلَعَهُمْ
يَظُلُّ جَدِيداً عَلَى الدَّوَامِ، تِلْكَ بَقَايَاهُمْ، ذَلِكَ أَسْفُهُمْ،
وَيَذْكُرُهُمْ تَنْفَطِرُ الْقُلُوبُ، صَرَخَتْ فِيهَا وَهِيَ تَبْخُتُرُ، أَنْتِ
الَّتِي جَمَالَكَ مَا تَمْلِكِينَ، أَنْظِرِي كَيْفَ لَا شَيْءَ لَدَيَّ، وَجْهِي
لَطَّخْنَهُ بِلَطَخَاتِ سَوْدَاءٍ، مِنَ الْحُبِّ لَا تَبَاسُوا، أَبَدًا، حِينَ
لَنْ يَكُونَ بَوُسْعِهِ أَنْ يَتَنَفَّسَ، هَذَا الْغَارِقُ فِي حَرْفِهِ، الْفَانِي
فِي نِيرَانِ الْمَنْقَى، أَنْتِ الْمُؤَجَّجُ، كَاللَّهَبِ، لَا تَتَعْجَلْ،
أَجْسَادُنَا سَتَعْلَمُ كَيْفَ تَعْبُرُ نِيرَانَ الْجَمَرَاتِ الْمُفْتَرَسَةِ.

يَقْطَعُ الْوَمِيفُ خَيْطَ الرُّؤْيَا، يَعْكِسُ الصَّدْرُ صَوْتَ الصَّغْفِ،
سَحَابَاتٌ تَتَوُّهُ فَوْقَ الْبَرَارِي، قَبْلَ أَنْ يُبْلَلَ الْوَابِلُ الْأَشْجَارَ،
بِغَزَارَةٍ يَنْهَمِرُ الْمَطَرُ، وَيَنْحَدِرُ عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ، تَفُوحُ بِهَوَائِهَا
الْأَرْضُ، مَمْزُوجاً بِرَحِيقِ الزُّهُورِ، وَالْخَشْبِ، وَالْأَوْرَاقِ، أَثَرُ
مِنْ هَذِهِ الطُّيُوبِ الْهَارِبَةِ يَنْطَبِعُ عَلَى الْجَسَدِ، وَالْيَدُ مَعَ
الرُّوحِ تَبْنِي زُجَاجِيَّاتٍ تَتْرُكُ الضَّوْءَ يَسْقُطُ أَحْمَرَ، كَمَا تُحِيلُ
أَفَاعِي الصَّخْرَاءِ السُّودَاءِ قَرْمَزِيَّةً، مُتَحَرِّكَةً عِنْدَ أَقْدَامِ نِسَاءِ
بَيْضَاوَاتِ جَالِسَاتٍ، وَأَضْحَاتِ الْجِيْنِ، جَامِدَاتِ السُّعْنَةِ،
عَيُونُهُنَّ الْوَاسِعَاتُ يَقْظَاتُ لِلْكَشْفِ، كَرِيمَاتُ، حُنُونَاتُ،
مُتَوَاضِعَاتُ فِي عَظَمَتِهِنَّ.

أَتَذْكُرُ، وَأَنَا طِفْلٌ، أَنَّ هُنَاكَ كَانَتْ امْرَأَةٌ، مِنْ نَافِذَتِي، كُلَّ
يَوْمٍ، كُنْتُ أَرَاهَا، لَمْ تَكُنْ تُغَادِرُ حَدِيقَتَهَا، وَلَا تَتَوَقَّفُ عَنِ
النَّظَرِ إِلَى جَمَالِهَا، هَازِيَةً، بَيْنَ حُقُولِ السَّوسَنِ وَالْخُرَّامَى،
مِنْ ذَلِكَ، لَا أَعْجَبُ، فَالْمَرَأَةُ الَّتِي كُنْتُ أَرَاهَا مِرَاةً كَانَتْ
تَحْمِلُ صُورَةَ ضَيْفَتِي مُسْتَقْبَلًا.

يَا حَمَامَ جَزِيرَةِ الْقَمَرِ الشَّاحِبَةِ، هَدِيلُكَ يَحْمِلُ الطُّيُوبَ
الْأَسْتَوَائِيَّةَ، يُطَهِّرُ النُّفُوسَ، وَيُضَاعِفُ الْعَنَاءَ، يَا حَمَامُ
هَدِيلُكَ يَنْطِقُ دَمْعًا، نَحِيًّا، كُفَّ عَنْ تَرْدِيدَاتِكَ الْكُنْيَةِ،
شَهيقًا مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَكَمِثْلِ صَدَى
تُرْسُلُ لِلْحَنِينِ زَفِيرًا، لِلْمُتَوَحِّدِ شَكْوَى، وَنَحْنُ جَنبًا إِلَى جَنْبِ
رَتَلْنَا النَّحِيبَ، تَحْتَ شَجَرَةٍ يَابِسَةٍ، وَالرَّيْحُ نَثَرَتْ شَكْوَى
أُخْرَى، أَيْقَظَتْ فِيْنَا الرَّغْبَةَ، عَلَيْنَا مِنْ وَرَاءِ الْجِبَالِ يَفِدُ ضَوْءٌ،
بِالنَّدَى غَمَرْنَا اللَّيْلَ، تَقَاسَمْنَا فَوَاكِهَنَا، وَحَوْلِي طَافَتْ،
مَعْبُودَةٌ، وَثَنِيَّةٌ، غَنَّتْ، بِصَوْتِ طِفْلَةٍ، مَشْهُدًا مِنَ الْآلَامِ،
رَفَعَتْ وَهِيَ تَطُوفُ أَحْجَارًا مُسْتَقِيمَةً مَلَسَاءَ، وَدَعَتْنِي لِتَقْبِيلِهَا،
لِلْمَسِيهَا، وَلِكُلِّ نَذْرٍ أَشْهَرَتْ إِيمَانَهَا، شَفَتَانِ عَلَى شَفَتَيْنِ،
نِيرَانُ جَسَدَيْنَا، نَادَتْ عَلَى الضَّوَارِي، ظَبِيَّةٌ صُهْبَاءُ، عِجْلَةٌ
رَقْطَاءُ، حَنَاءٌ عَلَى ظَهْرِهَا، عَيْنَاهَا، مِنَ اللَّيْلِ، اخْتَرَعَتْ فِي
قَلْبِ الصَّخْرَاءِ، مَرَعَى فِيهِ تَقْفِيزٌ، قَبْلَ أَنْ تَعُودَ، وَفِيرَةٌ، إِلَى
الْمَدَارِ الْمُغْلَقِ لِحَدِيقَتِنَا، تِلْكَ كَانَتْ لَيْلَةُ التَّحَوُّلَاتِ، حَيْثُ

الأشكال تتحرك وتتغير، وكنت أحسستني قادراً على
استقبالهن جميعاً، رأيتني تائهاً في بلاد، أتهجى جميع
اللغات، ألمس كل الكتابات، أدخل وأخرج، في صدقة
اللقاءات، من مشهد إلى آخر، مُعجَباً بِأثر الشعوب،
مُسافِراً في الزمن، شاردًا، مُبَدِّلًا، مُتَغَيِّرًا، في مرآة
التحوُّلات، عند مصائر العشق، مُحَرِّكِ العالم.

عُرَاةً، مُنْطَرِحِينَ عَلَى الْأَرْضِ، مُعْتَمِينَ وَفَارِغِينَ، بَعْدَ رِحْلَةِ
 الرُّؤْيَا، عَائِدِينَ إِلَى الْعَالَمِ، حَاضِرًا، دُونَ فِعْلِ، رَأَيْتُ
 مَوْكِبًا يَتَبَدَّلُ، الْفَرَسَ، بَطِينًا، يَجْرِي خَلْفَ الْعُنُقِ الْمَتَلَاشِي
 لِللُّوْحِشِ، يَتَقَنَّعُ جَامُوسًا، ثُمَّ ثَوْرًا، تُقَاوِمُ الصُّورَةَ الْأَسْمَ،
 نَعَامَةً كَثِيفَةً الرَّيْشِ، سُلْخَفَاةً بَحْرِيَّةً تَطِيرُ، نَسْرٌ يَتَلَفُ حَدَبَةَ
 الْجَمَلِ، مُفَاجَأَتٌ بَطِينَةٌ وَزُرْقَاءُ، تَتَمَدَّدُ مَذْخَنَةً، عَلَى شَاشَةِ
 عَيْنِي، السَّمَاءُ أَرْضُ الظُّلَالِ الْبَعِيدَةِ، فِي آخِرِ الْفَسَقِ،
 تَتَاهَبُ الْقَافِلَةُ، ثُمَّ عَبْرَ الشُّرْفَةِ تَدْخُلُ الصَّحْرَاءَ، لِحِظَةِ
 النُّجُومِ الْأُولَى، بَيْنَ آثَارِ، تَأْسِرُهَا مَرَايَا الْبَرْدِ، خَلْفَ زُجَاجِ
 النَّافِذَةِ، يَتَرَفَّقُ ضَوْءٌ شَتَوِيٌّ، أَصْوَاتٌ سَرِيعَةٌ الْانْكِسَارِ،
 زُهُورٌ تَتَقَبُّ نَسِيجَ الضَّجِيجِ، حِجَابٌ الْأَرْقِ عَلَى الْمَدِينَةِ.

كُنْتُ أَمْشِي فِي مَتَاهَةِ الصَّبَاحِ ، رَاعِي الشُّتَاءِ يَرُصِدُ طَوَافَ
 الذُّنَابِ ، طَائِرٌ أَسْوَدُ كَانَ يُغَرِّدُ فَوْقَ السَّبَجِ ، أَسْوَدٌ عَلَى
 أَسْوَدَ ، لَمْ يُفَارِقِ اللَّيْلُ النَّهَارَ ، كُنْتُ أَخْدَعُ الْقُبُورَ ، أَرَاكُ
 الْمِيتَرُ ، الْأَسَدُ حَارِسُ السَّاحَةِ ، عَلَى أَرْضِهِ يَغْفُو ، وَالسَّيَّارَاتُ
 أَرَاكُجِجٌ ، تَنَانِيْنٌ تَقْدِفُ النَّارَ مِنْ مَنَاقِيرِهَا ، كَانَ رَأْسِي يَنْحَلُّ
 فِي ضَجِيجِ الْمُسْتَنْقَعَاتِ ، أَعْصَابٌ مَتَوْبَةٌ ، مِرَاةُ الْقَلْبِ ،
 قَوْسٌ يَتَوَجَّهُ نَحْوَ السَّاعَةِ الْحَائِطِيَّةِ ، عِنْدَ مَدْخَلِ الْمَحْطَةِ ، فِي
 السَّاحَةِ الصَّغِيرَةِ ظَهَرْتُ لِي الْفَتَاةُ ، بِشَالٍ مِنَ الذَّهَبِ ،
 قُفْظَانُهَا حَرِيرٌ ، أَرْجَوَانِيٌّ ، مِنْ أَصْفِيَاءِ الْعَاشِقِينَ ، شَعْرُهَا
 الْمَجْدُولُ يَضْرِبُ الْوَرَكَيْنِ ، مُتَصَفِّ النَّهَارِ يَدُقُّ وَكَأَنَّهُ
 مُتَصَفِّ اللَّيْلِ ، دَعَوْتُهَا لِشُرْبِ نَيْدٍ شِمَالِي خَفِيفٍ ، مَرِحَ
 وَحَارَّ ، يَدَاهَا طَوِيلَتَانِ كَيْدَيِ جَنِّيَّةٍ ، مُرْصَعَتَانِ بِالْخَوَاتِمِ ،
 تَنْعَكِسَانِ عَلَى سُحْنَةِ النَّيْدِ ، رَائِحَةُ الْكِبْرِيَّتِ ، دَعَتْنَا لَزِيَارَةِ
 الْغُرْفِ الزَّرْقَاءِ ، فِي قَصْرِ التَّمَاعَاتِ ، رَأَيْتُ لَطْخَةَ بَيْضَاءَ ،
 خَلْفَ حِجَابٍ سَاطِعِ الْفِضَّةِ ، حَيْثُ الْعَيْنُ ، مَذَاقُ مَرٍّ ،

كانت تَدُخِرُجُ، ذَلِكْ ما أَيْقَظَ، أَثَرَ الصَّخْرَاءِ، مُقْفِرًا،
كَيْمِيَاءُ مِنْ غُبَارِ، عَلَى الْوَرَقَةِ الطَّاهِرَةِ، كَانَتْ الْقَافِلَةُ تَنْتَظِرُ
قُدُومِي، لِتَعْرِضَ أَعْجِيبَ الْعَالَمِ، مَعَادِنَ إِفْرِيقِيَا، أَقْنَعَةَ
الْهُنُودِ الْحُمْرِ، تَمَائِيلَ مِنَ الصُّبْنِ، مِسْلَاتِ عَرَبِيَّةٍ، طُيُوبَ
الْجُزْرِ، رَقٌّ تَتَرِي، تَحْتَ ثِقَلِ السَّعْفَاتِ، أَفْتَحُ عَيْنِي، مِنْطَادٌ
يُحُومُ فَوْقَ الْمَدِينَةِ، ظِلَالٌ سَاكِنَةٌ، فَوْقَ بَيَاضِ مَشُوبِ،
وَالنَّوَارِسُ، مِنْ أَعْلَى مَوْجَاتِ صَفْرَاءِ، بَعِيدًا عَنْ حَوَافِّ نَهْرِ
رَمَادِيَّةٍ.

ارْتَقِ الدَّرَجَاتِ خَطْوَةَ خَطْوَةٍ، مِنْ الْأَعْلَى، لَا حِظَّ خَلَوَاتِ
 الصَّحَرَاءِ الْمَهْجُورَةِ، أَعْمِدَةٌ مِنْ رُخَامٍ، بَعْضُهَا مُتَصِيبٌ،
 زَخَارِفُ الْمَدَاخِلِ مُخَرَّمَةٌ، هُنَاكَ تَرْعَى غِزْلَانٌ، ضَامِرَاتٌ،
 نَحِيفَاتٌ، حَذِرَاتٌ، مَذْعُورَاتٌ، عُرُوقٌ تَحْتَ الْجِلْدِ
 مُرْتَجِفَاتٌ، ثَوْبٌ مِنَ الْعَرَقِ، لَهُوَ صَبَاحُ الْحُمَى، تُبَايِعُ
 السَّمَاءَ، فِي وَمِضِ النَّهَارِ، حَرَكَةُ الْكَوَاكِبِ تَبْدُو لَكَ، أَنْتَ
 حَارِسٌ حَدِيقَةٍ تَتَدَلَّى خُضْرَةٌ، تُخَاوِلُ تَبَدُّلَ الْفُصُولِ، تَقْرَأُ
 بِالْعَيْنِ الْمُجَرَّدَةِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَتُنْقِذُ الْغِزْلَانَ، مِنْ دُمُوعِ
 الْجُرْحِ، لَا تُنْكِرُ كَلِمَةً، وَجَهَّتْهَا غَزَالَةٌ إِلَى مِثْلَاتِهَا، اللَّيْلُ،
 تَقُولُ لَهُنَّ، نَحْنُ وَجْوهٌ مُحِيتٌ لِلشَّمْسِ، بِيَاضُنَا الْمُخْتَفِي
 يُضِيءُ، كَالزَّبَدِ، حُبَابٌ هَارِبٌ، ذَاكَ الَّذِي يَنْطَفِئُ عَلَى
 ثَنِيٍّ أَيْضَ، يَكَادُ يَكُونُ مَسْتَوْرًا، تَحْتَ ظِلَالِ أَشْجَارٍ،
 تَرْتَعِدُ أَغْصَانُهَا، تَعْكِسُ أَضْوَاءَ وَظِلَالًا، عَلَى طَبَقَةِ الْحَدِيقَةِ
 الْمَشْرِقَةِ بِابْتِسَامَاتِنَا وَكَانَهَا وَمَضَاتُ لَيْلِيَّةٍ.

يَوْمٌ أَسْوَدُ، يَنْقُرُ الْمَطَرُ الزُّجَاجَ، إِلَيْكَ تَأْتِي الْمَلَائِكَةُ الْبَاكُونَ،
مَجْدَ الْغِيَابِ يَغْنُونُ، مَوْجَةٌ بَعْدَ مَوْجَةٍ، إِلَى الدَّاخِلِ يَقْدِفُ
بِي الْإِلَهَامُ، فَلَا أَسْتَطِيعُ تَرْدِيدَ مَا أَسْمَعُهُ، يَتَوَقَّفُ الصَّوْتُ
الْغَيْرَانُ عِنْدَ عَتَبَةِ الْكَلَامِ، يَنْفُخُ الْمَلَائِكَةُ فِي الصُّورِ
وَيَطْرُدُونَ الْمَطَرَ، مَا أَنْتَ تَخْتَرِقُ الْغُيُومَ، كَوَمَاتٍ قُطْنِ، ثُمَّ
عَلَى الشَّمْسِ تَعَثِّرُ، فَوْقَ غِطَاءٍ مَعْدِنِيٍّ، مُزْدَرِّعٌ قَمَرِيٍّ، فِي
صُدْقَةِ الضَّغْطِ، تَتَذَبَذَبُ مَقْصُورَةُ الطَّيَّارِ، وَتُعَدِّلُ رَفْلَاتِهِ
وَقَوَادِمَهُ، تَفْخُ الْمَلَائِكَةُ يَنْفُذُ مِنْ صَلْبِ الْمُحَرِّكَاتِ، وَمِنْ
مَنَافِذِ الطَّائِرَةِ، يُحَدِّقُ فِي أَطْفَالٍ مَلَائِكَةٍ يَمْرَحُونَ، أَقْرَاطاً
شَفَرَاءَ، تَنْهَمِرُ دُمُوعُهُمْ، وَالرُّوحُ فِيهِمْ قَطْرَاتٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ،
رُوحٌ مُرْتَجَّةٌ، فِي أَيِّ شَيْءٍ تَتَجَسَّدُنُ، لَرُبَّمَا كَانَتْ تَغْشَى
الْحَجَرَ، جَامِدةً، لَا مُسَمَاءَ، أَتَعَرَّفُ عَلَيْهَا فِي قَلْبِ الْقَلْبِ،
فِي دُمُوعِ الْحَبِيبَةِ، لَا يَبْقَى غَيْرُ الْأَسْفِ، أَسْفِهَا غَامِضاً،
لَكُنْتِي مُتَرْقِياً كُنْتُ، كَانَ لِقَاؤُنَا يَمَجِّدُ الْفُقْدَانَ، وَالْهَمُّ، يَشْنَأُ
نَحْنُ مَعاً، كَانَ يَمْشِي، حِينَا كَانَ رَقِيبٌ يَظْهَرُ، حِينَا

يَخْتَفِي، بِدَخِيلَتِي كَانَتْ حُرْقَةً تَلْمَعُ، حَبَّةُ رَمْلٍ تَقْتُلُ الْعَيْنَ،
دَعْتَنَا الْقَبِيلَةُ إِلَى الْمَادِيَةِ، لَكِنَّ الْحُرْقَةَ كَانَتْ مَانِعَةً، خِيَامٌ
تَمْلَأُهَا النُّعْمَةُ، وَالرُّؤْيَا تَفْقِدُ الشَّهِيَّةَ، تَفْضُلُ الْغَزَالَةُ مَوْتًا،
عَلَى أَنْ تَكُونَ فِي قَبْضَةِ الْمَصِيدَةِ، كُنْتُ أَخْفِي دَمْعِي،
مُسْتَقِيمًا بَيْنَ الرَّجَالِ كُنْتُ أَمْشِي، فِي سِرِّي أَنْصِتُ إِلَى
الْوَرْدَةِ الْمَوْدُوعَةِ فِي الْقَلْبِ، فَوْقَنَا كَانَ الْغُرَابُ يُحَوِّمُ، ثُمَّ
يَحُطُّ عَلَى الْهَوَائِيَّةِ، نَاعِقًا، ضَارِبًا بِجَنَاحِيهِ، صَوْتُ أَسْوَدٍ لَمْ
أَسْتَطِعْ الْغَاءَهُ، بِسُرْعَةٍ غَادَرْتُ الْأَمْكِنَةَ، مُتَدَخِّرًا عِنْدَ قَدَمِ
الشَّمْسِ، عَلَى إِيقَاعِ الْحَصَى، كُنْتُ أَقُولُ، أَبَدًا، إِلَى
صَحْرَاءَ كَهْذِهِ، لَنْ أَعُودَ، وَهَذَا أَنَا عَائِدٌ عَبْرَ السَّمَاوَاتِ، لَا
فِرَاقَ يُوقِفُ الْحُبَّ، بَلْ يَقْتُلُ، تُغْنِي الْمَلَائِكَةُ، فِي الْغِيَابِ،
لَا يَتَكَدَّرُ الْجَمَالُ، حَيْثُمَا يَتَجَسَّدُنُ، يَسْتَمِرُّ جَمَالًا، كَمَا هُوَ،
فِي الْفِكْرِ، لَا مُغَيِّرَ لَهُ.

يُشِعُّ ضَوْءُ الشُّرُوقِ، يَبْزُغُ النَّهَارُ، إِنَّهُ الْكَشْفُ، غَرْبٌ يَظْلُ
مُعْتَمًا، بِمُحَاذَاةِ الْقَمَرِ، قَرَصًا شَاحِبًا، فِي انْسِكَابِ اللَّيْلِ،
بُخَارُ الْفَجْرِ يَتَصَاعَدُ، لَمْعَةٌ تُخْفِي عَنْكَ صُرُوحًا، تُؤَبِّدُ
ذِكْرَى الْمَوْتِ، فَوْقَ رُمُوزِ كَهْذِهِ، تَجْرِي رِيَّاحُ الشَّرْقِ،
تُوشِشُ بِرِسَالَاتٍ غَرِيبَةٍ، أَبْعَدَ مِنَ الْعَذَابِ، مِنَ الشَّجَنِ،
نُقْطَةٌ تَبْلُغُ شَطْحًا يَحْصُلُ بَعْدَ جَيْشَانِ الدَّخِيلَةِ، تَخْتَطِفُ
السَّكْرَةَ الرُّوحَ، عَلَى مَرَأَى مِنَ الْقَمَرِ الْمُدَوَّرِ، مُنْخَرِمًا فِي
نُشَارٍ مِنَ الدَّمِ، فِي الْجِهَةِ الْمُقَابِلَةِ تَرْتَفِعُ الشَّمْسُ، هَذَا
التَّوَافُقُ هَالِكٌ، عَلَى صَدْرِكَ يَخْفِقُ النَّهْدُ، الْأَنْفَاسُ الْمُخْتَلِطَةُ
تَهْدَأُ، وَالنَّهَارُ يَكْبُرُ، وَرِيَّاحُ الشَّرْقِ تُوجِّعُ نِيرَانَ الْأَجْسَادِ، أَوْ
تُطْفِئُهَا، فِي الْإِتِّحَادِ، تَسْكُنُ الْحَبِيبَةُ، بَيْنَ قَيْدِ الْحَيَاةِ فِي
الْأَثَرِ السَّرِيِّ وَبَيْنَ الْمَخَوِ فِي الْآنِ، رَمَادٌ تَرْفَعُهُ الرِّيَّاحُ،
عَوَاصِفَ عَوَاصِفَ، فَوْقَ فِضَّةِ مِيَاهِ النَّهْرِ.

تَعْبُرُ سَاحَةً بِيضَوِيَّةَ الشَّكْلِ، مَسْرَحٌ فِي صَدَقَةٍ، عَلَى دِمَقْسٍ
أَخْضَرَ انْعِكَاسَاتُ الذَّهَبِ، تَعْتُرُ الْأَجْسَادُ عَلَى طَبِيعَتِهَا،
حَمَامٌ مِنَ الطِّينِ الْأَحْمَرِ، عَلَى حَافَةِ النَّافُورَةِ، يُحْرِقُ الْمَاءُ
السَّاحِنُ، تَرَاتِيلٌ، فِي حَرَكَتِهَا الْأَخِيرَةِ، تُوقِّعُ تَبَادُلَ
الْأَكَاسِيرِ، أَجْسَادًا، سَاقِطَةً فِي الْأَسْمِ، مُوتُوا قَبْلَ الْمَوْتِ،
لُودُوا بِظِلِّ الْقَاهِرِ الْجَبَّارِ، ثُمَّ إِلَى الْحَيَاةِ عَوْدُوا، وَجُوهًا
أَرْجَوَانِيَّةً، فِي الْجَسَدِ، الدَّمُ وَالنَّفْسُ دَائِرَانِ بِسُرْعَةٍ، عِنْدَ
الْفَجْرِ، يَخْلَعُ عَلَيْهِ الْفَتَى خِرْقَةً مِنْ حَرِيرٍ، مَرْفُولَةً زُمُرْدًا،
قَطِيفَةً كَالْمَسَاءِ، وَقْتًا مِنَ الْبَاقُوتِ، لَقَدْ طُوِبَتِ الْخِيَامُ،
اسْتَعْدَادًا لِلرَّحِيلِ، سَفَرٌ لَيْلِيٌّ، تَخُطُّ النُّجُومُ الطَّرِيقَ، فِي
فَيْءِ بُقْعَةِ النَّهَارِ، فِي إِسْرَافِ الْحَوَاسِّ، لَا يَسْتَطِيعُ الْحَرَكَةُ،
مُنْذِهَلًا، جَاحِظَ الْعَيْنَيْنِ، خَارِجًا مِنْ ذَاتِي، رَائيًا نَفْسِي آخَرَ،
فِي مَشْهَدِ السَّكِينَةِ، لَا أَحَدَ يَقْدِرُ عَلَى الْاقْتِرَابِ، أَبْعَدَ مِنْ
الْمَبْدِئِ، الَّذِي يَأْمُرُ بِأَنْ أَتَمَالَكَ، فِي الْقَلْبِ دُورًا، كَيْفَ قُبَالَتِي
أَرَاهَا، عَيْنَاهَا تُدَوِّيَانِ بِلَحْنٍ مُتَسَلِّطٍ، صَوْتُ الْكَوَاكِبِ بِصَمٍّ

الأذنين، أشربُ فيها، ما دُمْتُ عطشاناً، مَرَكَبٌ مِنْ دُونِ
مِقْوَدٍ، تتقاذفُ الأمواجُ، انهَضُ، كُنْ سَيِّدَ جَسَدِكَ، تَدَثَّرَ،
كَلَّمَهَا مِنْ وَرَاءِ سِتَارَةٍ، لَا تُلْقِ عَيْنَكَ فِي عَيْنَيْهَا، ادْلِفْ إِلَى
دَاخِلِكَ، فِي الْفِرَاقِ، انْتَظِرْ زِيَارَةَ الصَّبَاحِيِّينَ، وَأَهْلِ الْقِيَامِ
فِي اللَّيْلِ، تَمَتَّعْ فِي ظِلِّ أَجْنِحَتِهِمْ، أَلَوَانَا أَلْفَا، اسْتَقْبِلْ رُؤْيَا
هَارِبَةً، بَعْدَ بَرْهَةِ الْحُمَى، تُضَيِّفُ لِلرُّؤْيَةِ رُؤْيَةً، لِأَجْلِ أَنْ
تُسْتَفِظَ عَلَى نَعِيقِ الْغُرَبَانِ، سَمَاوَاتُ حَالِكَةٍ وَضَالَّةٌ، مَرْقُومَةٌ
بَيْنَ الظُّلُمَاتِ وَالسَّمَاوَاتِ، حَشْدٌ مِنْ سَوَادٍ يَطِيرُ فَوْقَ النُّوقِ
الْبَيْضَاءِ، عَلَى حَاقَةِ الصَّخَرَاءِ، فِضَاءٌ فَارِغٌ، أَرْضٌ مُسْتَوِيَّةٌ،
خَشِئَةٌ، سَهَبٌ فِيهِ تَنَكَّبُ الْأَصْوَاتُ السَّودَاءُ.

مَحْمُولَاتٌ عَلَى مِحْفَاتٍ، دُمَيَاتٌ شَبِيهَاتٌ بِالنِّسَاءِ، تَعْلُو
الصَّوَارِي وَتَنْخَفِضُ فِي فَجْرِ، هُوَ امْتِدَادُ الصَّحَرَاءِ، حَقْلٌ مِنْ
أَحَافِيرٍ، تَجْوِيفَاتٌ وَأَخَادِيدُ الْقَمَرِ، قَنَادِيلٌ وَأَصْوَاتٌ، عَهْدٌ
يُرْسِخُ الْقُلُوبَ، حَرَكَةٌ ضَالَّةٌ، تُهْدِينِي عَنْقُودَ عِنَبٍ أَسْوَدَ،
وَالدُّمُوعُ الْمَحْبُوسَةُ تُؤَجِّجُ الزَّوْبَعَةَ، فِي الدَّاخِلِ تَتَغَطَّى
الشَّمْسُ، عَنِيفَةٌ هِيَ الْحُنْجُرَةُ، عَاصِمَةُ الْهَبَةِ، عَلَى حَافَةِ
أَرْضٍ، مَخْرُوقَةٌ، فِيهَا تُوَاجِهُ الْخَطَرَ، أَدْعُ وَارِدَاتِي، وَفِي كُلِّ
شَيْءٍ أَرَى وَجْهَهَا، فِي الظُّلُمَاتِ، فِي الضِّيَاءِ، فِي الْحَاجِزِ،
فِي الشَّفَافِيَّةِ، حَامِلًا قِنَاعِي وَحِجَابِي، وَلَا مَانِعًا لِلرُّؤْيَا، مِنْ
الْفِرَاقِ إِلَى الْبَدَنِ، مُعَقِّدًا أَطُوفَ الْعَالَمِ، طَائِرُ الْفَرِيسَةِ، يُحَوِّمُ
فَوْقَ الْهَضْبَةِ، ذَلِكَ مَا يَمْنَحُ شَجَرَةَ الطَّيِّبِ جَنَاحَيْنِ، يَلْسَعُ
الصَّمْغُ اللَّثَّةَ حَتَّى تَذْمَى، حَامِلًا قَطِيفَتَهُ، فِي اللَّيْلِ الْهَادِي،
يَتَأَوَّهُ الْمُنْفَرِدُ، يُرْخِي الْحَصَى السَّاحَةَ الشَّاسِعَةَ، لِلْخَطَوَاتِ
صَرِيفٌ فِي اللَّيْلِ الْغَيْرَانِ، يُفْتَقِدُ اللِّسَانَ، أَلِفُ اللَّيْلِ،
شَكْلُكَ يَسِيلُ، حِمَامًا مُتَوَهِّجَةً، تَتَجَمَّدُ لَحْظَةُ الْعُبُورِ، مَعْبَدٌ

مُظْلِمٌ، فِيهِ نَسَمٌ مُقْتَطَفَاتٍ مِنَ الطُّقُوسِ، عَلَى مُنْقَلَبِ
اللُّغَاتِ، بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جِيءَ، دُقَّ الْبَابُ، اَعْبُرَ الْمَجَازَ،
بَيْنَ الْقُبُورِ، اَعْبُرْ طَرِيقَ الْغُرْفَةِ الْمُسْتَطِيلَةِ، انْزِلِ الدَّرَجَ
السَّابِعَةَ، سَأَنْتَظِرُكَ فِي أَقْصَى الْحَدِيقَةِ، فِي الْكُوْخِ، عَلَى
مَقَرَّبَةٍ مِنَ الْمَنْبِتِ، الزُّجَاجِيُّ، لَا تُكَلِّمِ الْحَارِسَ الشَّيْخَ،
تَعَرَّ، ضَعِ الْفُوطَةَ الْمَزِينَةَ بِحُرُوفِ أَوْمٍ، لَا تُكْرِّرْ شَيْئاً مِمَّا
حَفِظْتَ، بَلِّ شَفَتَيْكَ بِالْكَلِمَاتِ الْجَدِيدَةِ، اقْرَأ بِصَوْتِ
الْوَحْيِ، لَا تُأَوِّلِ الْمَعْنَى، وَلِيَكُنِ الْوَقْتُ عَطَشَكَ، اقْطَعْ
مَرَا حَلَ الرِّفْضِ، اقْدِفْ بِصَرَخَتِكَ عِنْدَ صَدَى الْحَيَوَانِ، يَا
رَاعِي النُّجُومِ، أَيُّهَا النَّدِيمُ اللَّيْلِيُّ، بَيْنَنَا يَتَكَلَّمُ الْعِشْقُ، يَسِيلُ
الْخَمْرُ، أَسْهَرُ مَعَ النِّي، تَرْقُدُ تَحْتَ الْوَمِيزِ، تُغْلِقُ الْعَيْنَ،
وَتَنَامُ مَعَ الْمَوْتَى، ثُمَّ تَبْعَثُ أُخْتاً لِلنَّبِيدِ، الْمُنْعِشِ لِلرُّوْيَةِ،
وَقْتَ الْإِلْقَاءِ بِالشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ الْمُتَأَخِّرِ، نَبْعٌ لِلْحَوَاسِ.

وَأَنْتَ يَا تَائِهٌ، لَا تَسْتَعْجِلْ، رَاوِدِ الْوَقْفَةَ، فَالزَّمْنُ فِي الْأَثَرِ
يَتَجَمَّدُ، قِفْ، انْظُرْ مِنْ قَرِيبٍ إِلَى تَجَاعِيدِ الثُّوَاءَاتِ، ارْفَعْ
أَكْمَامَكَ، أَنْصِتْ إِلَى الصَّوْتِ الْحَادِّ، أَذَلِكَ الْغَرِينِ الَّذِي
يَصْقِلُ الْأَجْسَادَ، وَلَأَنِّي أُرِيدُ وَضْعَ الْقَدَمِ، فِي مَا يَرُدُّ عَلَى
الْفِكْرِ، فَالرَّجُلُ لَا تَتَّبِعْ، صَوْتُ يَدَوِّي، يَفْسُدُ التَّنْغِيمُ، إِنْ
هِيَ لَمْ تُوَحَّ بِالنَّشِيدِ، فَغَيِّرِ الْاِتِّجَاهَ، عَرِّجْ عَلَى الْيَمِينِ،
عَلَى صِفَافِ الْوَادِي، سَتَعَثُرُ فِي الصَّمْتِ، فِي الْحَوَارِ، فِي
الْقَطِيعَةِ، فِي عَوْدَةِ الصَّمْتِ، عَلَى شَعْبٍ، لَا يَتَنَظَّرُ شَيْئاً،
مَخْفُوراً فِي صُلْبِ الْبُؤْسِ، هَلْ أَكُونُ غَرِيباً، بَيْنَ السَّلْعِ،
ضَائِعاً فَوْقَ التُّرَابِ الْأَحْمَرِ، مِنْ وَادٍ مُرْتَفِعٍ كَهَذَا، حَيْثُ
الْمَاءُ يَتَرَفَّقُ، بَيْنَ الْخَمَائِلِ الْخَضِرَاءِ، عِنْدَ حَدِّ قُصُورٍ مِنْ
الطُّوبِ، عِنْدَ فَتَحَاتِ النُّسُورِ، وَحِيداً، فِي بَلَدِ الْبَغَالِ،
بَاحِثاً عَنِ مَجْهُولَةٍ، تَتَهَجَّى اسْمِي، عَلَى عَتَبَةِ الْأَسْفَارِ.

بُيُوتٌ فَارِغَاتٌ، نَوَافِذُ مَخْلُوعَاتٍ، رَمَادِيُّ السَّمَاءِ، حَيٌّ
 خَرِبٌ، يَوْمٌ أَحَدٌ لَا نَفَعَ فِيهِ، رُؤُوسٌ مُهَاجِرَةٌ، بَيْنَ
 الدَّهَالِيزِ مُدَمَّرَاتٍ، وَالْأَبْوَابِ مَسْدُودَاتٍ، لُغَاتُ بَابِلَ، تُقَسِّمُ
 الْإِنْسَانَ نِصْفَيْنِ، شَبْحًا تَحْتَ ظِلِّي أَمْشِي، أَتَرَبَّصُ سَرَابًا،
 بِاتِّجَاهِ تَوَاضُعِ نَبِيلٍ، أَمْرٌ عِبْرَ حَوَاجِزِ الْجَرِيمَةِ، عَلَى لَافِتَةِ
 الْمُسْتَشْفَى، عَلَى الْأَجْرِ الْأَحْمَرِ، عَلَى شِعَارِ الدَّعْوَةِ، عَلَى
 ثَوْبٍ مِنْ بُخَارٍ، لَوْنُ الْأَمْرَاضِ تَقْدِفُهُ الْمَدَاخِنُ، غِيَابٌ عَنْ
 الذَّاتِ، فِي الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى حَيْثُ الشَّرَابِ، مَاءُ الْحَيَاةِ،
 الَّذِي يَرْتَقِ شُقُوقَ الشَّفَتَيْنِ، بَيْنَ الْأَطْفَالِ الْوَسِخَيْنِ،
 وَالْحَقَائِبِ ذَاتِ الْوَرَقِ الْمُقَوَّى، فَوَائِسُ مُكْسَرَةٍ، عَلَى مَسَارِ
 الْمَدِينَةِ، رِيحٌ حَارَةٌ تُشَوِّهُ، شَرْرُ الرَّمْلِ يَقْطَعُ، طَاقَةُ انْشِطَارِ،
 ذَوْبَانُ الْمُحَطَّاتِ، سِكَكُ الْحَدِيدِ، تَتَرَاخَى، مِنْ فَوْقِ
 الْجُسُورِ، قِلَاعٌ عَالِيَةٌ تَخْسِفُ، هَوَاءٌ مُتَوَهِّجٌ يُحْرِقُ الْأَحْشَاءَ،
 يَخْتَلُ الْمَدِينَةَ فَقَرَاءٌ لَا تَعْرِفُ مَنْ هُمْ، رَائِحَةُ الْكِبْرِيتِ، تَأْسِرُ
 الْحُنْجُرَةَ، تَمُرُّ الرُّوْيَا عِبْرَ السَّدَادَةِ، عِبْرَ ثُقْبِ الْإِبْرَةِ،

وَجِهِي، كَبَّةُ نَارٍ، تُغَيِّرُ شَكْلَهَا، سُحْنَةُ أَبْنَاءِ الْجِبَالِ، مُلَوَّنَةٌ
بِرِيحِ الْبَحْرِ، مِنْ تَحْتِ أَيِّ أَنْقَاضٍ سَتَسْتَرْجِعُ خَيَالَهَا، وَفِي
أَيِّ نِسْيَانٍ سَتُكَلِّمُهَا، مِنْ خَشَبٍ أَوْ مِنْ حَجَرٍ، عَلَى الطَّرْقِ
خَارِجَ الْأَسْوَارِ، نَحْوَ صَحْرَاءَ تَسْتَقْبِلُنِي، عَلَى إِيقَاعِ النُّوقِ،
تَنْبَحُ الْكِلَابُ فِي الظُّلْمَةِ، أَثَرُ الرَّمَادِ يُشِيرُ إِلَى الْحَيِيَّةِ، عَلَى
جُذُرَانِ اللَّيْلِ، مُتَكِنَةً مِنْ غَيْرِ حِرَاكِ، بَيْنَ صُبَّارٍ، عِنْدَ
الخُرُوجِ مِنَ الْقِيَامَةِ، بِنَارِهَا أَتَقَيُّ، وَالْأَاطِفُ أَشْبَالاً بِهَا
مُرْقُطَةٌ تُحِيطُ.

أَنْصِتُ إِلَى مَنْ لَا صَوْتَ لَهَا، بَحْثاً عَنِ الْبَقَايَا، تَمُرُّ
 الْفُصُولُ، تَنْهَدِمُ الْمَنَازِلُ، ضَاحِكاً كُنْتُ، قَبْلَ أَنْ أَكُونَ
 عَبُوساً، يَضِيقُ السَّهْلُ الْوَاسِعُ، بَيْنَ الْأَعْمِدَةِ كَبُرَتِ الْأَشْيَاءُ،
 فِي غَفْلَةٍ عَنِّي، لَمْ أَكُنْ حَارِسَهَا، كُنْتُ سَاطِرُهَا، بَيْنَ
 إِسْرَافٍ وَبُخْلِ، بَصَفْتُ، جَلَسْتُ عَلَى زُرَابِي تُخْفِي تَشَقُّقَاتِ
 الْأَرْضِ، خَيَالَتُنَا مَغْمُورَةً، فِي الْمَنَازِلِ الْفَارِغَةِ، تَفْتَحُ
 الطَّوَارِيسُ النَّهَارَ، تَطِيرُ الْأَجْسَادُ، مَعَ الْأَرْوَاحِ جَنباً إِلَى
 جَنْبٍ، بَيْنَ لَمْعَةٍ وَسَحَابَةٍ، تَسْتَدِيرُ الْقِبَابُ، عِنْدَ صُرَاخِ
 الْعَاشِقِينَ، تَزْحَفُ الرَّغْبَةُ، بَيْنَ الْقُبُورِ الْبَيْضَاءِ، رَايَاتُ مُلْقَاةٍ،
 عَلَى الْهَضْبَةِ.

أَرَى قَلْبِي بِدُقٍّ، فِي قُمْقُمٍ، تَذْمَى وَجُتَيَّ، بَيْنَ الْعَالَمِينَ،
 شَجَرَةٌ مُنْمَنَةٌ تَوْقِظُ الظُّلَالَ، فِي حِضْنِ فَتَاةٍ لَعُوبٍ، مَعَ
 الْبَنَاتِ، بِلَبَاسِهَا الْأَبْيَضِ تَطُوفُ، جَسَدِي، فِي كُلِّ مَسَمٍ مِنْ
 الْمَسَامِ، يَخْفِرُ، أَرْحَبُ بِزِيَارَةِ الشَّمْسِ، تَنَبْتُ فِي شُرَيَانِي
 حَدِيقَةً، يَنْمُو الْجَمَالُ، فِي شَبَابٍ مُضَاعَفٍ، مُكْعَبٍ،
 تَنْهَضُ الرَاقِصَةُ، آتَاءَ اللَّيْلِ، وَتُهْدِينِي جَسَدَهَا، الْفَارِعَ،
 أَهْصِرُهَا، عَلَى سَرِيرِ مَرَضِي، فِي جَوْفِ غُرْفَةٍ، عَالِيَةٍ
 وَضِيقَةٍ، عِنْدَ هَيْئَةِ خَطِّ الطُّيُورِ، نَمَلٌ، مُغْمَدَاتُ الْأَجْنِحَةِ،
 كَوَاسِرُ، إِخْلِيلٍ، تَاجٌ، غَشِبَنِي الدَّاءُ، بِبَيَاضٍ مَرْمَرِيٍّ، إِنَّهَا
 نَذْبَةٌ، جَعَلَتْ مِنِّي فَرَاعَةً لَا قُدْرَةَ لَهَا عَلَى التَّمْوِيهِ، أَجُسُّ
 فَرْجًا مُحْمَرًّا، ذَهَبُ عِقْدِهَا يَلْتَفُّ عَلَى عَانَتِي السُّودَاءِ، هَا
 نَارٌ تُضِيءُ، فِي قَعْرِ الْقَبْرِ، وَجْهٌ بِالزَّبَدِ مَذْهُونٌ، هَوَاءٌ خَانِقٌ،
 فِي الصَّمْتِ، أَسْمَعُ جَلْبَةَ الْأَجْسَادِ، تَظْهَرُ الطُّمَأْنِينَةُ، وَهِيَ
 تَشُمُّ دَمًا مُتَخَتِّرًا، يَعْتَقِلُ دَائِي، تَبْدَأُ النَّقَاسَةَ، فِي فَوْضَى
 اللَّحَافِ، هُنَاكَ، بَيْتُ الْأَسْرَارِ، فَوْقَ الرَّمَالِ أَكْتُبُ، عِنْدَ ثَلَمِ

الإحساس، أمزق الصورة المحمولة في القلب، أفتح أزرار
بذلة، تشد صدري، تضرب الشمس، حرة ومرغمة أجوف
الطين، الرخو، كيمياء زرقاء تلون أصواتي، أدون حروف
العشق، اخترع لي كرسيًا، خلف الحجاب، مخفيًا تلك
التي، في دائي تنوء، بنت ملك سفاح، أعطس، والنفس
يضرب العمود الفقري، المتقد نيراناً، نحوي تقبل، متأكدة
من جمالها، بلون صهباء تلالاً بروح هاربة، وأنا
مرتوخماً، أعريها، تنظفي النجوم، بين الجرح واللمس،
أعود إلى الداء، الذي تضاعفه شفتاها.

قُمَاشٌ مِّنْ حَرِيرٍ، هَدِيرُ الْبَحْرِ، تِلْكَ السَّرْوَةُ شَمْعَةٌ، فِيهَا
يَحْتَرِقُ الشَّعْرُ، جَمَلٌ هُوَ الْجَبَلُ، يَفْرَغُ اثْقَالَهُ، تَرِنُ
الْخُطَوَاتُ عَلَى الْبِلَاطِ، وَتَنْقُرُ السَّحَابَ، أَدْعُوهَا إِلَى السَّفَرِ،
عِنْدَ ظِلِّ تَيْنَةٍ، قُبَالَةَ الْبَرْزَخِ، حَاجِزٌ، عَلَيْهِ الرُّوحُ تَسْوِخٌ، فِي
مَقْدَمَةِ الْمَرْفَأِ، فِي انْتِظَارِ مَرْكَبٍ، مُنْكَفِنًا وَسَطَ اللَّجِّ، عِنْدَ
حَافَةِ الْعَاصِفَةِ، يَسْتَجْمَعُ الْبَحْرُ أَمْوَاجَهُ، تَتَأَخَّرُ النُّجُومُ فِي
تَثْبِيتِ الْفَجْرِ، النَّوْرُسُ جَزِيرَةٌ تَتَقَدَّمُ، وَالصَّارِي جَذَعٌ يَنْوَحُ،
تَنْهَضُ الْعَاشِقَةُ، مَعَ النَّهَارِ، تَنْظُرُ عَبْرَ نَافِذَةِ الْمَرْكَبِ،
تَغْتَسِلُ فِي الزَّبَدِ، وَتَتَلَحَّفُ بِزُرْقَةِ سَمَاءٍ تُضِيءُ بِبَيَاضِهَا.

النَّاجُونَ مِنْ لَيْلِ السُّهَادِ، يَجْمَعُونَ الْحَصَى وَالْجَوَاهِرَ، عِنْدَ
 بُزُوغِ الْفَجْرِ، تَطِيرُ رَايَةُ اللَّيْلِ، يُغَادِرُ الشَّعْبُ الْأَخْفَشُ
 النَّهَارَ، هُوَ الصَّبَاحُ نَسْرٌ مُزِينٌ بِالْحُرُوفِ، أَشْخَاصٌ فَصَحَاءُ،
 كُتَّابُ الرِّغْبَةِ، يَحْمِلُ الْغَرِيبُ عَلَامَةَ السَّمَكَةِ، فِي ثَنِيَّاتِ
 الْحُرْقَةِ، هُنَاكَ فَوْقَ، يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ، فِي مَنْظَرٍ مُقْفِرٍ، يَسِيلُ
 الْمَاءُ، فِي مَجْرَى مِنَ السَّكَاكِينِ، تَهْجُمُ الرَّائِحَةُ التَّنَّةُ عَلَى
 زَائِرٍ، يَتَرَدَّدُ عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، السَّاهِدُونَ يَنْشُرُونَ مِنْكَ
 الصَّبَاحَ، مَخْمُورِينَ، تَلْتَوِي الْفُصُونُ تَحْتَ أَنْفَاسِ
 السَّاهِرِينَ، مَلْعُونِينَ، طَائِشِينَ، مُحِجِّينَ بَلَا مَحْبُوبٍ، فِي
 الصَّرَاخَةِ غَارِقِينَ.

عَلَى الْآثَارِ الْمُنْسِيَّةِ، فِي الْأَمْكِنَةِ اللَّامُسَّمَاةِ، أَرَى جَوْقَةَ
 النَّادِبَاتِ الْبَاكِاتِ، عَلَى الضُّفَافِ الْجَنُوبِيَّةِ، أَنْظُرُ إِلَى
 الْمَنَازِلِ الدَّارِسَاتِ، فِي الصَّبَاحِ النَّدِيِّ، أُعْجَبُ بِتِلْكَ، الَّتِي
 تَحْمِلُ قِنَاعَ الْأَلَمِ، يَغْبُرُ الْمَيْتُونَ الْجُسَيْرَ الْأَسْوَدَ، وَيَقْطِفُونَ
 فَوَاكِهَ الصَّمْتِ، يُظِلُّ الْمَطَرُ الضَّوْءَ الرَّمَادِيَّ، قُلْتُ، بَلَى،
 سَأَتِي، بِلَا خُدْعَةٍ، وَلَا دِرْعٍ، كَذَلِكَ أَجَبْتُ، تِلْكَ الَّتِي
 كَانَتْ تَتَكَلَّمُ، بِقَلْبٍ مَخْطُوفٍ، مُطَارِدٍ، فِي الْعِرَاءِ، عَلَى
 السَّهْلِ، كَانَتْ الرِّيحُ الْأَرْبَعَةُ تَحْمِلُ رَسَائِلَ مُتَنَاقِضَةً، قَائِلَةً،
 سَأَنْقَسِمُ عَلَى نَفْسِي، جَدِيدَةً سَأَكُونُ، كَالشَّمْسِ، كُلَّ يَوْمٍ.

عَلَى صَفْحَةِ الذَّبِيحَةِ، يُغْنِي المِخْرَابُ فِي الْأَحْشَاءِ، النَّارُ،
 الْمُلتَهَبَةُ فِي صَدْرِي، غُرُوبٌ، يُغْذِيهِ مِنْكَ اللَّيْلُ، يُحْرِّكُ
 الْقَمَرَ الْغُصْنَ، تُشَقِّقُ البَذْرَةُ الْوَجْهَ، تَنْسَحِقُ الْفَاكِهَةُ، تَحْفِرُ
 النَّجْمَةُ الْقَبْرَ، هُوَ الْأَلَمُ كِتَابٌ ضَاغِطٌ عَلَى الْجُمْجُمَةِ، مِنْ
 بَاطِنِي تَخْرُجُ الشَّمْسُ، تُحِيلُ السَّمَاءُ الظَّلَالَ وَرَدِيَّةً، مَشْهُدٌ
 فَارِغٌ، تَاجٌ يَتَحَطَّمُ، تُوشِشُ الْأَوْثَانُ، عَلَى أَرْضِيَةِ مِنْ
 الْبَلَّورِ، تَلَامِسُ الرِّيحُ صَانِعًا، يَجْمَعُ حَفَنَةً مِنَ الرَّمَالِ، يَدَاهُ
 تَتَفَتَّانِ، يَدُورُ الْحَجَرُ، فِي الْقَرْنِ الْأَصْفَرِ، وَهَذِهِ الرَّغْبَةُ قُبَّةٌ،
 تَنْهَارُ، فِي بُخَارِ الْحُمَى، يَنْدَى جَسَدِي، أَثْنَاءَ الْعَوْدَةِ مِنْ
 الصَّخْرَاءِ، يَتَشَهَّى وَحْدَةً أُخْتَيْنِ تَكْسُوهُمَا حَوَاسِي بِالْبَيَاضِ.

أمضي في الطريق، المؤدية إلى حديقة الخطايا، ألعب
 بالأسماء، خلف أجمة الحقيقة، أشرب حيث الفتى يجمع
 نرده، أختفي في دغل، ترتجف الغزلان فيه، يحجب
 الذئب غناء الراعي، هواء ينفض جسدي، في النهار
 الأسود، يملأ السيل البحيرة، الفاصلة بين البلدين، أشرب
 في كأس سومرية خمراً معتقة، في جرة من الطين، مدفونة
 تحت التراب، منذ آلاف السنين، الكأس القديمة، منزوعة
 من حجر الجنة، تعظم لهاثاً، أشمه مميتاً.

تَهْتُ، خَاسِرًا، رَابِحًا، أَضْحَكُ، أَبْكِي، وَحِيدًا، فِي
الطَّرِيقِ، مُتَشَيِّيًا، وَأَنَا أَمَزَّقُ، سَاهِرًا، أَطْلُقُ اللَّجَامَ، أَثْنَاءَ
الرَّاحَةِ، بَعْدَ الْحَرَكَةِ، فِي الصَّبَاحِ، أَجْتَثُ الْجُدُورَ، نَازِفًا،
عَابِرًا شُكُوكِي، وَالْعَيْنُ مُفْتَحَةٌ، أَضْفِرُ الْكَابُوسَ، مِنْ لُعَابِي،
أَنْشُرُ الْخَيْطَ، الَّذِي يَفْتِقُ جَسَدِي، يَمَّحِي شَكْلِي، وَرُوحِي
مُتَخَلِّصَةً مِنْ قَفْصِهَا، تَبْقَى فِي سِجْنِ الْقَضِيَةِ، الَّذِي يَبْطُلُ
الرُّؤْيَا، سَائِرًا، فَوْقَ الْقُمَامَاتِ، وَفِي عَدَمِي أَيْضًا تَلْمُسُنِي.

تَجْتَلِبُ الرُّؤْيَا رَوَائِحَ بِيضَاءَ، تَعَكِسُ أَشْكَالًا، وَتُغَطِّيْهَا
 بِالْحَلْفَاءِ، عِنْدَ مَوْقِعِ شَجَرَةٍ، مِنْهَا الْفَوَاكِهَ اقْتَطَفْتُ، دُونَ
 أَكْلِهَا، أَرَى شَعْرَةَ الْهِلَالِ الْفِضِّيَّةَ، خَشْيَتِي مِنَ الْفَنَاءِ، أَمْسُ
 الْحَجَرِ الْأَمْلَسِ، مُضْطَجِعًا عَلَى الْأَرْضِ، نَجْمَةٌ تُحَاوِرُ
 النَّهَارَ، أَلَّا تُسْمَلَ عَيْنَايَ، أَنْ أَقْرَأَ ظَهَرَ الْأَحْشَاءِ، تَنْهَشُنِي
 النَّيْرَانُ، عَلَى عَيْنَيَّ يَهْجُمُ الرَّمْلُ، وَفِي حُلُقُومِي يَتَوَقَّفُ، لَا
 قُدْرَةَ لِي بَعْدُ عَلَى التَّنَفُّسِ، الْكَلَامُ، مُحْتَرِقًا، أَعُودُ إِلَى
 قَصْرِ يَ، وَبِي خَبَلٌ، عَلَى طَرِيقِ الْقَمَرِ، أَسَافِرُ، مِنْ خُطْوَةٍ
 بِيضَاءَ، تَتَضَاءَلُ مَعَهَا الْأَرْضُ، أَخْتَنِقُ دَاخِلَ لَامَةٍ، مِنْ عَهْدِ
 آخَرٍ.

غَرِيبَةٌ فِي وَطَنِهَا، مَوْشُومَةٌ، شَدِيدَةُ الْحُمْرَةِ، لَذَغَاتُ الْأَفْعَى،
 لَسَعَاتُ الْعَقْرَبِ، خَدَّرَتْ جَسَدَهَا، خَائِنَةٌ، مُتَنَبِّئَةٌ، تَنْكَمِشُ،
 ثُمَّ تَمْنَحُ نَفْسَهَا، تُرْجِعُ الْبَصَرَ إِلَى الْعَمِيَانِ، وَتَجْرُ أَذْيَالَهَا،
 مُتَكَبِّرَةٌ، مُتَزَيِّنَةٌ بِالْحِلْيِ، أَتَأَمِّلُهَا، أُنَدْفِعُ، تَضْحَكُ، إِنَّهَا
 جَمَالُ الْوَقْتِ، عَارِيَّةٌ، تَمْنَعُ الْكَلَامَ، عَلَى مُتَشَرِّفٍ،
 الْمَسْهَى، جِلْدُهَا، حَرِيرٌ كُلُّهُ، هِبَةٌ تَأْسِرُ الرُّوحَ، تَنْطِقُ
 بِالسَّرِّ، سِحْرُهَا فِي يَدَيْهَا، تَتَغَطَّى، وَالْقَلْبُ مُنْفَطِرٌ، تَبْلُلُ
 شَفَتَيْهَا، تَخْدَعُنِي عَيْنَاهَا، تُهْدِيَانِي عَرْشاً عَلَى الْمَاءِ،
 جَسَدُهَا الْخُسُوفُ، رِيَا حُ الشَّرْقِ تَرْفَعُ تَنُورَتَهَا، بَيْنَ حَالَتَيْنِ،
 بِطَرِيقَةٍ مَتَمَاثِلَةٍ، أَشْهَدُ، بِالْعِبَارَةِ الضَّيْقَةِ، الْهَارِبَةِ، نِلْكَ
 الْغَرِيبَةَ تُخْفِي أَثَرَا، بِجُهِدٍ أَعْرِفُ عَلَيْهِ، تُصِيبُ الْحُمَى
 الْحَجَرَ، أَمْشِي فِي الْوَحْلِ، نَحْوَ الْمَجْهُولِ، أَرْتَمِي، قَدَمَايَ
 حَافِيَتَانِ، فِي الْوَادِي الْبَارِدِ، أُطَارِدُهَا، نَاحِلَةً، مَعَ مُتَأَخِّرِينَ،
 انْسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الصَّخَرَاءُ، فِي الظِّلِّ يَنْبِثُ صَدْرُهَا، عَيْنَا فَهْدٍ،
 تُؤَجِّجَانِ رَغْبَتِي، أَطُوفُ بِمُكْعَبٍ، مَدْمُوعَةٌ بِالْخَاتَمِ الْقَمَرِيِّ،

أَلْتَقِيهَا، عَطَشِي، تَمْحُو عِلَامَةَ النَّهَارِ، وَيِي تَقْذِفُ إِلَى
الَّيْلِ، تَضْحَكُ، صَاحِبَةً، تَتْرَكُنِي مُنْذَهَلًا، شَبَحًا مَذْعُورًا،
لَاعِبًا عَلَى شَفَا الْهَلَاكِ.

مَمْشُوقَةُ الْقَدِّ، تَمْشِي مُشَائِبَةً عَلَى ظِلَالِ رَاقِصَةٍ، تَتَفَلَّى،
 مُنْزَوِيَّةً فِي الضَّبَابِ، تُرَاقِبُ سِرْبَ طُيُورٍ مُهَاجِرَةٍ، عَلَى
 ضِفَّةِ النَّهْرِ، عِنْدَ مُنْحَدَرِ جَبَلٍ، هُنَاكَ مَدِينَةٌ دَارِسَةٌ، مُحَاطَةٌ
 بِالْكُهُوفِ، غُرْفٌ لِلْجِنِّ، جَسَدِي حَجَرَةٌ بَارِزَةٌ، أَزُورُ
 الْحُمَى، لَحْظَةً السَّكِينَةِ، ذَهَبْتُ، دُونَ أَنْ أَعْلَمَ، أَرَى فِي
 الْبِرْكَةِ سَرِيرًا، عَلَيْهِ يَنْعَكِسُ وَجْهَهَا، أَغْرُقُ فِي صُورَتِهَا،
 بَحْثًا عَنْ شَعْبِهَا، الْمَشُورِ أَذْرَاجَ الرِّيحِ، جَسَدِي مُنْشَطِرٌ،
 مِنَ الْأَسَافِلِ إِلَى الْعُلْيَا، أَتْرُكُ نَفْسِي مُنْقَادَةً، بِشَجَرِ عُنَابِ
 النَّهْيَةِ، أَلْتَقِي الْأَصْفِيَاءَ، فِي مَوْقِفِ نَبَاتٍ مُعْطَرٍ، بِهِ أَدَاوِي
 جَسَدِي، عَلَى جِرَاحِهِمْ يَمْشِي الْأَوْلِيَاءُ، الْأَلَمُ ثَقْبٌ، يُحِيلُ
 صُورِي سَوَادًا، أَخْتِنِقُ، وَأَعْثُرُ عَلَيْهَا، فِي حَضْرَةِ فُتْنَانِهَا
 الْمُقَوَّرِ، أَفْتَحُ قَمِيصَهَا، أَشْرَبُ مِنْ سُرَّتِهَا، أَغْشَى الْغِيَابَ،
 أَبَايَعُهَا، أَخْتِمُ عَلَى مِعْصَمِهَا، بِمَعْدِنٍ لَامِعٍ لَيْلًا، يُحْرِقُ
 أَزْهَارًا مِنْ غَيْرِ نَرْجِسٍ وَلَا خُرَّامَى، تُهْدِينِي خِرْقَةً، عَلَيْهَا
 عَلَامَةُ الْعُقُورِ، صُوفٌ خَالِصٌ يَكْهَرُ جَسَدِي، كَثِيفًا فِي

الليل، كالفحم قابلاً للتفتت، شعرها خلية النحل، يطن
حول ملكة مأسورة، عربية وبيضاء، تنطق بالأعجمية، ذات
نكهة لاتينية، تخفي جسدها وتُعريه، تُرخي شعرها،
وتجمعه، تأخذ أشياء النهار شكلها، غير مكتمل في الطين،
بين يدي نحّات، ألمس حجرة سوداء، يفتح الأثر، مثل
نافذة، يلمع الليل، صحن هو القمر، أكسره، وأخفيه،
تحت دائرة الحريق.

كُلُّ الْأَحْيَاءِ تَتَكَلَّمُ عَنْهَا، أَسْتَغِيثُ بِهَا، وَأَرْتَجِفُ، تَقُولُ انْزِلْ
 ضَيْفًا عَلَى مَنْ هُوَ فَخُورٌ، بِاسْتِقْبَالِكَ، بِإِخْلَالِكَ الْمَحَلَّ
 الْعَالِي، أَطِلْ الْإِقَامَةَ عِنْدَهُ، لَا تُسْرِفْ فِي النَّصِيحَةِ، لِمَنْ
 يَتَجَاهَلُهَا، ظُلْمٌ أَنْ تُعْطِيَ مَنْ لَا يَأْخُذُ، مَلِيئَةً وَعَذْبَةً، تُوقِظُ
 حَوَاسِي، كَلَامُهَا طِيبٌ، يُضْرَجُ، مَقْعَدُهَا، فَوْقَ الذُّرَى، أَوْ
 فِي الْأَسَافِلِ، تَرْفَعُنِي، إِنْ أَنَا طَالَبْتُهَا، نَقَبْتُ عَنِ الْكَنْزِ،
 النَّائِمِ بِدُخِيلَتِي، حُضُورُهَا يَمْلَأُ الطُّلُولَ، مِثْلَ سَرَابٍ، أَحِبُّ
 أَثَرَ فِكْرِهَا، نُورٌ يُضِيءُ غُرْفَةَ جَسَدِي الرَّمَادِيَّةِ، مَلَامِحُهَا
 تَزُورُ أَشْكَالًا أُخْرَى، تَهْرِسُ بِذَرَّةِ الْقَلْبِ، رَائِحَةُ مُرَّةٍ، مَنَاطِرُ
 الطَّبِيعَةِ مُتَنَافِرَةٌ، دُخَانُ شَرِسٍ، تَتَحَجَّرُ الْمَدِينَةُ، مِنْ النَّافِذَةِ،
 أَتَفَحَّصُ الْقَرْنَ، الْقَاتِلَ.

بِقَفْزَاتٍ صَغِيرَةٍ، ثُمَّ خُطْوَةٌ سَرِيعَةٌ، هِيَ الْقَدِيمَةُ، تُدْنِسُ
 شَبَابَهَا، فِي دَاخِلِهَا تَنْبِثُ الشَّهْوَةُ، تُحْرِقُ الْحُجُبَ السَّبْعِينَ،
 تَسْتَنْشِقُ زَهْرَةَ الْعُمَرِ، تَصْعَدُ الدَّرَجَاتِ الثَّلَاثِ، تَخْتَفِي فِي
 السَّمَاوَاتِ، تَنْزِلُ، بِهَا اتَّوَحَّدُ، جَسَدُهَا قِنْدِيلٌ، يُضِيءُ
 الْأَرْبَعِينَ لَيْلَةً.

يَتَمَايَلُ الْهُدُودُ، عَلَى شَجَرَةِ الْآخِرَةِ، بِتَأَوُّدِ الصَّوْتِ،
وَيَبْكِي، تَخْرُجُ الْأَرْوَاحُ مِنْ أَجْسَادِهَا، يَنْطَفِئُ النَّفْسُ، فِي
اللَّذَّةِ أَشْرَبُ، لَوْعَتِي فِي الْإِنْكَشَافِ، أَغَادِرُ الظُّلْمَةَ، حَيْثُ
كُنْتُ أَسِيرًا، أَشْهَدُ، أَرْكَعُ، هَذَا الصَّوْتُ ضَجِيجٌ، فِي
الْمَدِينَةِ، يَرْتَجُّ الزَّجَاجُ، يَحْتَدِمُ الْخَرِيفُ، وَالنَّارُ تَفْتَرَسُ.

أَسْوَدُ، فِي عَيْنَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ، تُغَطِّي السُّحْبُ الذُّرَى، وَالْكَهْفُ
 تَيْنُ نَائِمٌ، هِيَ الثَّوَانِي ظِلَالٌ، نَبْضَاتٌ فِي الْعَيْنَيْنِ
 السَّوْدَاوَيْنِ، ابْنُ الْمَلْحَمَةِ أَنَا، أَنْزِلُ الْمُنْحَدَرَاتِ، بِسُرْعَةٍ
 الْبَرْقِ، أَخْتَرِقُ الْمَجَالَ الْمُخْرُوسَ، أَدْنُسُ الْقَرْيَةَ، الْحَبِيبَةَ
 أَخْتَطِفُ، أَدْخُلُ سَوَادَ، عَيْنَيْهَا السَّوْدَاوَيْنِ.

تَمُرُّ ظِلَالٌ ثَلَاثَةٌ، لَهَيَ فِي اللَّيْلِ تَخْتَطِفُ الْأَبْصَارَ، تَقْتُلُ،
 تَجْتَذِبُ كَشُعْلَةٍ وَفَرَّاشَةٍ، تَحْجُبُ وَجُوهَهَا، لِتَجْنُبَ
 الضَّعِيفَ، تَكْبَحُ سُلْطَانَهَا، تَرْمِي بِالْقِطْرِ السَّودَاءِ، إِلَى
 الْعَنْكَبُوتِ، بِصَوْتِ عَالٍ تَتَكَلَّمُ، فِي زِيَارَةٍ هِيَ، فِي بَلَدٍ،
 حَيْثُ تَبْنِي مَنَزِلًا، لِمُسْتَقْبَالِ التَّائِهِينَ، الْمُتَجِدِّينَ لِلْجَمَالِ،
 بَيْنَ شَعْبٍ مَعزُولٍ، لَا يَدْخُلُهُ سِوَى فَقِيرٍ، يَنْشُرُ سُخْرِيَّةَ
 اللَّحْظَةِ.

أُسَافِرُ فِي الْعَالَمِ، الَّذِي هُوَ لَيْلٌ أَسْوَدُ، أَزُورُ الْمَدُنَ
 الْخَمْسِينَ، فِيهَا الْوَحْدَةُ تَبْدَأُ، أَوْ تَنْتَهِي، مَدُنُ الْأَشْبَاحِ،
 أَحْيَاءُ مُنْهَدِمَةٌ، سَاحَاتُ جَدِيدَةٌ، فِي السَّمَاوَاتِ، مَعَ
 الْمَلَائِكَةِ، أَمْوَجٌ حَتَّى يَشْتَدَّ اللَّمَعَانُ، يُصَيِّبُنِي الدُّوَارُ، فِي
 فَجْوَةِ الْهَوَاءِ، الْحُمَّى آتِيَةٌ، لَا تَتَوَقَّفُ، فِي اللَّيْلِ الظُّلُمَاءِ،
 أَمْشِي خَاضِعاً لِسُلْطَانِ نَفْسٍ فَارِغَةٍ، فِي الظُّلُمَاتِ تَرَى وَلَا
 تُفَكِّرُ.

تَفْتَحُ لِي عَيْنًا، أُذُنًا، تَمْسُ الْمِنْخَرَيْنِ، تُغوصُ بِي فِي الْمَاءِ،
عِنْدَ ظِلِّ الْخَيْمَةِ، تَقُولُ، لَا تَكُنْ مَغْلُولًا، إِلَى وَجْهِي أَنْظُرْ،
إِنِّي فِي حَيْرَتِكَ، فَلَا تَقْعُدْ، حَيْثُ الْجَمْرَةُ تَزْهَرُ، الْأَسْمَاءُ
آثَارٌ لِمَا نَتَقَاسَمُهُ، لَا تَلْتَقِطِ الْعَسَالِيحَ الْحَمْرَاءَ، لَا تَرْمِ بِهَا،
إِلَى مَوْقِفِ الْمُقَرَّبِينَ، أَحْمِلْ سَلَامَ الْعَاشِقِينَ، الْمَتَوَلِّهِينَ،
فِي أَقْصَى حُدُودِهِمْ، رَهِيفِينَ فِي الْإِبْتِلَاءِ، الْمَانِعَ لَهُمْ مِنْ
لَمَسِ الْجِرَارِ الْمَذْهَبَةِ، قَطِيفَاتِ الْحَرِيرِ، لَمَسِ الْجَرِيمَةِ،
التَّوْبَةِ، عَلَى طَرِيقِ غَايَةِ أَحْلَامِهِمْ.

كَمِثْلِ الْفَاتِحِينَ، الْعَاجِزِينَ عَنِ الْعُودَةِ، فِي بَلَدٍ آخَرَ، أَرَى
 نَفْسِي فِي كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ الْقَلْبُ شَاسِعٌ، كَالْبَلَدِ الثَّالِثِ،
 الْمُتَمَتِّعِ، أَنْقَبِضُ، أَنْبَسِطُ، قَدَمٌ فِي الْمَوْتِ، وَعُودَةٌ، أَقْبَلُ،
 أَرْفُضُ، تُودِعُنِي عِلَامَاتِ، أَوَّلُهَا، عِنْدَمَا الْأَشْفَارُ تَهْتَزُّ،
 عَاشِقَةٌ، لَحْظُهَا فَاتِكٌ، مَنَفِيَّةٌ، لِكَلَامِهَا سِرُّ النَّارِ، فِي
 الْوَحْدَةِ، بَعْدَ الْحَاجِزِ، أَسْوَارٌ مِنَ الطُّوبِ، مَقْبَرَةٌ لِلْعَالَمِ
 الْقَدِيمِ، تَزْخَرُفُهَا الشَّمْسُ، وَالْعَازِفُ يَغَيِّرُ الْمَقَامَ، يَرْقُصُ
 الْمُهَاجِرُونَ، طُيُورًا صَبَاحِيَّةً، فِي رَبِيعٍ أَعْجَفَ، كَحَشْدٍ مِنَ
 الْحَشَرَاتِ، فِي لَذَاذَةِ الْبَلَدِ الْبَعِيدِ.

أَفَاعِي الصَّحَرَاءِ الْبِيضَاءِ، تَلْعَبُ فِي الزَّوَايَا وَالْأَحْجَارِ، تَتْرَكُ
الْآثَارَ، فِي الْمَتَاهَةِ، آثَارٌ يَدْرِكُهَا النَّائِي وَهُوَ سَائِرٌ فِي الطَّرِيقِ،
فِي لَيْلٍ يَمْحُو أَصَابِعَ الْيَدَيْنِ وَالْقَدَمِينَ، تَخْشُدُ النُّجُومُ
لِمَعَانِهَا، فِي مَأْوَى الشَّمْسِ، مَضِيئَةٌ ظُلُمَاتِ الدَّاخِلِ، مِنْ
بَيْنِهِنَّ، أَحَبُّتُ تِلْكَ، الْجَالِسَةَ عَلَى الْعَرْشِ، كَامِلَةً
وَمُخْتَفِيَةً، أَخْتَرِقُ حُجُبًا تَزِينُهَا، عَيْنَايَ تَعْمِيَانِ، لَا حَبَّةَ تُرْبَةٍ
تُكَدِّرُهَا، تُمَزَّقُ الْعَتَمَةُ كَمَا تُمَزَّقُ وَرَقَةٌ، تَصْرُخُ فِي اللَّيْلِ،
شَعْرُهَا سِتَارَةً، تَسْقُطُ عَلَى الْجَرِيمَةِ، فِي مُتَتَصِفِ النَّهَارِ.

نَوُومُ الضُّحَى، فِي سَرِيرِهَا، تَتَكَاسَلُ، تُنْصِتُ إِلَى الزَّيْتُونَةِ
وَهِيَ تُغْنِي، تَحْتَفِلُ بِالرَّجُلِ، ضَعْفًا وَلِينًا، لَهَا عُمَرُ الْقَمَرِ،
مُمْتَلِئَةٌ كَالْقَصَبِ، لَا تَعْبَأُ بِالْأَيَّامِ، لَا تُقِيمُ فِي الْمَقَاصِيرِ،
حَيْثُ الْكَائِنُ يَكْبُرُ وَيَتَدَاعَى، إِبْطُهَا الْإِيْمَنُ فَجَرٌّ، لَامِعٌ،
عَانَتْهَا تَبْلَعُ الشَّمْسَ الدَّامِيَّةَ، عَارِيَّةً، أَصَابِعُهَا تُورِّجُ الْمَاءَ،
جِلْدُهَا رَعِشَةٌ، بِالزَّيْتِ تَدَهْنُ جَسَدَهَا، تَمْشِي وَمِلْحُ الْبَحْرِ لَا
يُفَارِقُهَا، عَيْنَاهَا الْمُبَلَّلَتَانِ جَرَادٌ قَافِرٌ نَحْوَ الصَّحَرَاءِ، لِأَجْلِهَا
بِاسْمِ بَذَخٍ يَتَحَدَّى الْفَقْرَ.

في الحديقة يهبط طائر اليمين الأبيض، يوقظ طيوراً أخرى،
 تسكن صنوبرة ضخمة، يغطي ظلها أشجار البرتقال، ترفع
 الأزهار رماحها باتجاه السماء، يهز الفجر معابد الليل،
 ويمزقها، ساحباً خيطاً أبيض، يظهر عند الأفق، منه جنية
 تخرج، تشق صدري، وتغسل قلبي، سحر آيته سوداء،
 سليله الليل، ترصد الطائر المهتاج، أهرب، مع انتصار
 النهار، تضج الجمرة في الكبد، توقد النار، بعد موت
 النجوم، تصعد الشمس إلى خط الاستواء، أفتش في الأثر،
 أنادي، لا شيء يصلني، لا أرى خلفي، نعيم رائحة
 طريقي، لا أفص غشاء قمر، نهراً، يقود خطاي، إلى حيث
 الطرق تشعب، فجأة تحمل الملائكة غيمة، تفرق الأمطار
 الوادي، تحمل زادي، ومتاعي، راعي الغيم يطرد العاصفة،
 يحط طائر اليمين الأبيض، على علو جبل رأسه كالقرنين،
 ذي لون الطين الندي، وهو يغزل جنية كانت عازمة على
 تشغيلي، عند سقوط الليل.

مُصْطَلَمًا بِعَابِرٍ، فِي السَّحَابِ أَنَا، وَلِي رَأْسٌ مَقْطُوعَةٌ، أَتَوُّهُ
 بَيْنَ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي، أَمْشِي فِي الشَّمْسِ، دُونَ أَنْ أَرَى
 الشَّمْسَ، أَتَقَدَّمُ بِخُطْوَةِ الْقَطِيعِ، أَضَعُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، رَأْسِي
 بِالْعِمَامَةِ، يَسِيلُ ضَوْئِي، مَعَ دَمِي، فَقِيرًا بَيْنَهُمْ، مُجَرَّدًا مِنْ
 الثِّيَابِ، لَمْ يَعْذُ لِي سِوَى نَفْسِ الْجَسَدِ، أَنَا مُتَهَيِّئٌ لِلْمَوْتِ،
 وَأَقِفًا، أَمَامَ عَرِيَّةٍ جَمِيلَةٍ، صَوْتُهَا الْعَجَمِيُّ، يُحَرِّكُ، نُتُوءًا
 قَاحِلًا، صَخْرًا أَبْيَضَ ذَا خُرُومٍ، كَأَنَّهَُا مَسْخُ حَيَوَانٍ،
 أَتَوَقَّفُ، حَيْثُ أَشْيَاءُ الْأَعْلَى تَتَجَسَّدُنُ فِي حَضْرَةٍ هِيَ صُورَةُ
 غَيْرَانَّةٍ مِنْ جَهْلِي، تُغَطِّي الْوَجْهَ، وَتُضَيِّفُ إِلَيَّ عِشْقِي، أَمُوتُ
 مَرَّتَيْنِ، إِلَى الْآخَرِينَ، إِلَى نَفْسِي، لَكِنْ لَا أَكُونُ إِلَّا بِهَا،
 وَعَدُّ يُوَحِّدُنَا، عِنْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ، يَحْمِلُ الْعَدُوُّ لِي مِنْهَا،
 ضِعْفًا شَدِيدَ الشَّبَهِ، فِي حُمَايَ أَنَا، أَسْكُنُ أَرْوَقَةَ الْغِيَابِ،
 تَهْبِطُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، فِي قَلْبِي، وَفِي شَرَايِينِي تَدُورُ، بِإِيقَاعِ
 بَطْنِي، لِخَفَقَانِ الْبَصِيرَةِ.

(45)

لَنْ يَكُونَ الْكَائِنُ شَيْئاً، إِنْ حُضِرَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَتَحَوَّلَ أَحْيَاناً
إِلَى سَيِّدَةٍ، تَلْبِسُ اللَّوْنَ الْأَسْوَدَ، تَثْقُبُ أَلْفَ الْغِيَابِ، الَّتِي
أَتَعَرَّفُ عَلَيْهَا، مُسْرِفَةً فِي اللُّغَةِ وَفِي الْعَالَمِ، حَتَّى عِنْدَمَا
كَانَتْ تُزَيِّنُ الْجُرْذَانَ، الْأَرَانِبَ، الْأَتَانَ.

لَنْ أُنْسَى يَوْمَ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَكُونَ عِنْدَ عَظِيمَةِ الْجَلَالِ، وَهُوَ
يَتَقَدَّمُ نَحْوِي، كَانَ يَوْمًا، تَأَمَّلْتُ فِيهِ، الْوَاصِلِينَ، رُؤْيَتُهُمْ،
كَانَتْ الْعِلَاجَ، تَسَامَتْ رُوحِي إِلَى رَغْبَتِهِمْ، إِقَامَتِي، بَيْنَهُمْ،
كَانَتْ طَوِيلَةً، مُنْذُ يَوْمٍ طَارَ الْعُصْفُورُ فِيهِ يَمِينًا، كَانَتْ بُيُوتُهُمْ
فِي رَحَاءٍ، رَغَمَ السَّنَوَاتِ الْعِجَافِ، طَرِيقُ الْجَبَلِ، تَحْتَ
أَقْدَامِهِمْ أَسْتَوَى، وَالصَّحَارَى الْقَاحِلَةُ أَلْقَتْ فِي آذَانِهِمْ أَصْدَاءَ
الْمِيَاهِ، هُمُ الْمُبْجَلُونَ، الَّذِينَ قَرَّبُونِي، لَمْ يَتَنَازَلُوا عَنْ
اسْتِضَافَةِ مَنْ يَهْدُونَهُمْ قُلُوبًا مُنْخَطِفَةً.

أَتَجَرَّعُ الْحَنْظَلَّ، أَكْسُرُ سَاقَ نَبَاتِ لَبَنِ السَّودَاءِ، قَلْبِي كَنَسِرٍ
 مُقَيَّدٍ، لَا يَبْلُغُ مَدَاهُ، تَرِيثٌ، تَقُولُ لِي، سَاعَتُكَ آتِيَةٌ،
 سَتَلْحَقُ بِي، لَا تَتَعَجَّلْ، كَيْفَ أَتَنْظِرُ، قُلْتُ لَهَا، فَالْأَسِيرُ
 مُتَمَرِّدٌ، هُوَ التَّرِيثُ مَتَّقِي، عَلَيَّ إِلَّا أَوْقَعَ بِنَفْسِي، يَتَبَدَّدُ
 الدُّخَانُ، تَظْهَرُ بِلَوَائِهَا السُّرِّيُّ، بِيَاضِهَا غَمَامٌ، يُلَطِّخُهُ
 النَّرْجِسُ، وَهِيَ جَالِسَةٌ، مُسْتَقِيمَةٌ، عَلَى الْعَرْشِ، تَدُورُ حَوْلَ
 نَفْسِهَا، مَدَارُهَا يَخْتَرِقُ الْعَمَى، الَّذِي سَبَقَ الْكَائِنَ، وَالْوَهْمُ
 يَدُلُّ عَلَى شَكْلِ، لُغْبَةٍ، تَضَهَّرُهَا ذِكْرَايَ، عَلَى مَرَايَ
 الْبَصَرِ، لَا تُسَمِّيهَا الْكَلِمَةَ، الْفِكْرَةُ لَا تَتَصَوَّرُهَا، تَدْنُو
 وَتَنَائِي، تَبْعُثُ عَلَى غَيْرَةٍ، تَجْلِدُ دَمِي، تُوسَّوِسُ لِي، هِيَ
 وَهْمٌ وَهْمٌ، أَغْسِلُ عَيْنِي، أَقْدُمُ يَدِي، تَخْتَرِقُ السَّنَائِرُ، إِنِّي
 أَرَاهَا، أَلْمُسَهَا.

عُلبَةٌ مِنَ الشَّمْعِ، عَلَى امْتِدَادِ اللَّيْلِ، خَلَايَاهَا حُرُوفٌ،
 تَثْقُبُ الْكِتَابَ، عَسَلٌ يَتَقَطَّرُ مِنْهَا، وَخَيٌّ، تَتَهَجَّأُ، لَهَا شَفَةٌ
 سَمْرَاءٌ، وَالسَّاقُ مَكْتَنَزَةٌ، عِنْدَ كُلِّ خُطْوَةٍ، تَرْتَعِشُ، غِيَابُهَا
 يُضْرَجُ الْوَجْهَ، وَضُوحُ أَسْنَانِهَا صَفْحَةٌ بِيضَاءٌ، خَفِيفَةٌ، بَيْنَ
 الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، تَنْفُذُ إِلَى مَسَاكِينِ اللَّهْوِ، تَطَأُ حَدِيقَةَ الْقُلُوبِ
 الْمُمْتَلِئَةِ، تُنْصِتُ إِلَى أَمْوَاجِ الزُّهُورِ، تُنَادِي عَلَى الرِّيَّاحِ،
 حَامِلَةِ الشَّمْسِ، عَلَى وَجْنَةِ الْحَبِيبِ، مُخْتَصِرٌ هُوَ الْجَوَابُ،
 كَعَلَامَةٍ تَمَحُّوْهَا الرِّيحُ، لَيْلًا، فَوْرَ خَطِّهَا عَلَى الرَّمْلِ الْبَارِدِ
 لِبَيَاضِ الْأَرْقِ.

أَمَامِي الْقَمَرُ، يَسْجُدُ، غُرَابُ اللَّيْلِ يُحَوِّمُ، فَوْقَ طُرُقِ
 الْمَنْفَى، إِلَى بِلَادِ الْغَرْبِ أَمْشِي، عَلَى كَفَنِ أَيْضَ، يَغْطِي
 الْأَرْضَ، فِي الرِّيحِ تَجَفُّ صُورُ الْبَاطِنِ، أَمْحُو حُرُوفاً
 كَتَبْتُهَا، فَوْقَ دِفَاتِرِ مَسْتُورَةٍ، فِي أَقْصَى شِغَافِ الْقَلْبِ.

هُوَ الْوَقْتُ ضَيِّقٌ، فَارُغٌ جَسَدِي، أُسَافِرُ، فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ،
 أَحْمِلُ مِثَاقَ الْإِنْسَانِ، لِي مَذَاقُ الدَّوَاءِ، الْمُرُّ، أَنْتَظِرُ
 الشِّفَاءَ، أَمَامَ بَابِي تَمَرُّ، مِثْلَ هَارِبَةٍ، إِنَّهَا لَمَعَةٌ تَخِزُ، وَتُعْلِنُ
 عَنْ سُخْرِيَّتِهَا، اخْتِقَارِهَا لِأَلَامِي، حِجَابٌ أَرْفَعُهُ، سُمُورًا إِلَى
 شَفَقَةٍ كَانَتْ غَرِيبَةً عَلَيَّ، أَدَجُنُ وَحْشًا، بِدَخِيلَتِي، حَتَّى لَا
 أَضْمَحِلَّ، قُبَالَةَ الْأَسِيرَةِ الْمُتَزَوِّبَةِ، فِي حُمَاةِ الْبَيْضَاءِ، بِنْتِ
 قَنْدِيلٍ، يُضِيءُ وَجْهَ الضَّيْفِ، وَهُوَ يَدُقُّ الْبَابَ لَيْلًا، يُطَالِبُ
 بِالرَّاحَةِ، إِنَّهَا جَوْهَرَةٌ تَنَامُ، فِي جَوْفِ صَدَفَتِهَا، تَشْتَظِرُ
 غَطَّاسًا، لَرُبَّمَا يُعِيدُهَا إِلَى الضُّوءِ.

كما لو من بعيد، سراب في الصحراء، شمساً تبارك صباح
 بيت كبير، كانت تظهر، عارية الوجه، ناديت عليها، من
 خلف حجاب الحمى، عندما كنت ضائعاً، في سهب
 عذواني، سكران، في بحر لا ساحل له، عندما كنت
 رجعت، فارساً بوجه مخترق، كنت أراها، تمر، بين
 الأشجار، شعلة كانت تفتح، من بين فجّة الأسنان، في
 المشاهدة دخلت، كانت تعيش في بستان منعزل، برقة
 حمامة، كانت تطير، ثم تعود، لا شريك لها، منذ أن
 اجتزت البحر، وأنا أستدعيها في الفكر، وأحتك بوحدتها
 الخالصة.

مِثْلَ أَفْعَى، بَارِزَةٍ مِنْ تَحْتِ حِجَارَةٍ، عَابَثَتْ بِهَا الْقَدَمُ، تَلْدَغُ،
 مَنْ غَيْرِ انْتِظَارٍ، عَلَى حِينِ غَرَّةٍ، تَرْتَدِي قِنَاعَ السُّرِّ،
 وَتَغْشَاكَ بِوَدَاعَةٍ، بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا، تَنْحَلُّ، وَتَسْقُطُ مَرِيضاً، مِنْ
 أَيِّ نَاحِيَةٍ أَخَذْتِكَ، فَأَنْتَ الْكَائِنُ الْفَانِي.

أَسْتَرْجِعُ هُدُوءَ أَوْلَائِكَ الْمُرْتَقِينَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، أَخْتَرِقُ
 شَسَاعَةَ مَكْرٍ، تَسْتَرُّهُ غِبْطَةٌ، نَوَافِذُ مِنْ مِسْكِ، وَمِنْ عَنَبٍ،
 تَضَعُ اخْتَامَهَا عَلَى قُلُوبِنَا، تَقْتَرِحُ مَوَاقِيقَ مُرَبِّكَ، مِنْ الصَّغْبِ
 تَبْجِيلُهَا، رَغَمَ الْمُتْعَةِ الْمُسَاوِيَةِ، مُتْعَةٍ مَا تَقَاسَمْنَاهُ مُفْتَرِقًا
 فِي حَالَاتِ السُّمُوءِ.

تَكَيْفْتُ مَعَ طَقْسٍ، لَيْسَ طَقْسِي، فِيهِ أَسْتَشِيقُ هَوَاءَ الْمَحِيطِ
الرَّطْبِ، فِيهِ بَنَيْتُ بَيْتاً مُرَبَّعاً، مِنْ زُجَاجٍ، يُطْلُ عَلَى أَرْضِ
مِنَ الصَّخْرِ، مَقْطُوعاً بِالْخَيْطِ الْكَهْرَبَائِيِّ، مَشْدُوداً بَيْنَ
عَمُودَيْنِ مِنْ خَشَبٍ، عَلَيْهِ عَلَّقْتُ قَلْبِي، مَنَاراً يَدُلُّ عَلَى
الطَّرِيقِ، لِمَنْ يَرْحَلُونَ، وَمَنْ يَكُونُ، فِي مَسْكَنِي أَسْتَرِيحُ،
بَعْدَ سَنَوَاتِ السَّفَرِ.

إِنِّهَا مُجَسَّدَةٌ، بَيْنَ جَنْسَيْنِ، حِيناً فَتَاةٌ، حِيناً فَتَى، كُنَّا
 الْوَاحِدَ ضِدَّ الْآخَرِ، كَالْحَرْفِ الْمُضَعَّفِ فِي اسْمِي، لَمْ نَكُنْ
 مَعَ سِوَى وَاحِدٍ، نَحْنُ الْإِثْنَيْنِ، لَرُبَّمَا لَمْ يَكُنْ لَهَا أَنْ
 تَتَعَرَّفَ، عَلَى مَنْ كَانَتْ هِيَ، إِنْ أَنَا لَمْ أَكُنْ الْقَيْتُ، عَلَى
 وَجْهِهَا نَفْسَ كَلِمَتِي.

جَسَدِي يُغَيِّرُ جِلْدَهُ، أَمَامَ مَلَائِكِ، يُعَبِّرُنِي ضَوْءُهُ، وَيَأْخُذُ
مَظْهَرَ أُسِيرٍ، يَدُلُّنِي عَلَى الْعُرُوجِ إِلَى السَّمَاءِ، نَمْرُ عَلَى دِيَارِ
الْكَوْنِ، حَوْلَ الشَّمْسِ، مَلِكُ الشَّرْقِ، جَالِسٌ، قَدَمَاهُ
مَطْوِيَتَانِ، ثُمَّ إِلَى الْأَرْضِ نَعُودُ، لِلْمَلَائِكِ قِنَاعُ الشَّيْخِ،
أَقْوَدُهُ، عَبْرَ وَقْتِ غَائِمٍ، عَلَى شَاطِئِ رَمْلِ أَبْيَضٍ، بِالْحَصَى
مُرْصَعٍ، بِالطَّحَالِبِ الْيَابِسَةِ، بِالْقَطْرَانِ، عِنْدَ اقْتِرَابِنَا مِنْ
خَلْوَةٍ، فِيهَا الْقَانِتَاتُ يَنْشُدْنَ، يَغِيبُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْرَكَ أَثْرًا،
كَانَ لَهُ أَنْ يُجَنِّبَنِي الْعَذَابَ.

(57)

حاضرةً حيناً، حيناً غائبةً، مِنْ شَطْحٍ، وَمِنْ شَوْقٍ لَا شِفَاءَ
لِي، بِهَا أَلْتَقِي، عَنْهَا أَفْتَرِقُ، عِنْدَمَا أَكُونُ بَعِيداً، يَكُونُ لِي
أَمَلٌ أَنْ أَرَاهَا، عِنْدَمَا أَعُثِرُ عَلَيْهَا، يُصِيبُنِي الدُّوَارُ، تَتَكَرَّرُ
الرُّؤْيَا، كُلَّ مَرَّةٍ، أَكْبَرُ، وَالْأَلَمُ لَا يَتَرَجَعُ.

أَمْشِي بَيْنَ أَطْلَالِ قَصْرِ مُنِيفٍ، ذَاهِباً إِلَى النَّهْرِ الْمُتَرْمِّلِ، أَمْدُ
 خَطَاً مِنْ حَدِيدٍ، هَلْ مَعْسُكْرٌ هُوَ، هَلْ حُدُودٌ، إِنِّي كُتْلَةٌ
 أَوَارِقِ مَيْتَةٍ، يُلَيِّنُهَا الْمَطَرُ، قَطَرَاتُ الْمَاءِ تُثَبِّتُ الْغُبَارَ، ثُمَّ
 النَّهَارُ يُصْبِحُ وَضَاءً، وَأَنَا، أَتْرُكُ الْعَيْنَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ، بَعْدَ
 مَوْقِفِ الْمَرَضِ.

فِي الْحُمَى التَّقِينَا، فِي الصَّخْرَاءِ، يَوْمَ السَّبْتِ، فِي عِزِّ
 السَّكِينَةِ، فِي فَرَاغِ الْهَضْبَةِ الْحَمْرَاءِ، قَرِيباً مِنْ بَرَكَةِ مَمْلُوءَةٍ
 مَاءً، يَعْكِسُ عِلْماً وَحِيداً، عَلَى يَمِينِ الطَّرِيقِ، تَقَاسَمُنَا
 الرَّغْبَةَ، فِي الظَّهِيرَةِ، عِنْدَ ظِلِّ خِيْمَةٍ، بَدَدْنَا، مَا جَمَعْنَاهُ،
 فِي الْأَلَمِ، فُتَاتاً، فِي الْأَحْلَامِ، قَادَ الزَّمَنُ النَّاطِقُ خُطُوتِي،
 وَخُطُوتِيهَا، نَحْوَ مَوْقِفِ النَّارِ، هَذَا الَّذِي فَارَقْنَاهُ، شَفَافِينَ،
 مِثْلَ إِزَارَيْنِ أَيْضِينَ يَرْفَعُهُمَا الْهَوَاءُ.

عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الْعُرْعَرِ كَانَتْ تَقُولُ لِي، امْشِ، سَتَصِلُ، لَا
 تَتَوَكَّلْ عَلَى الرُّؤْيَا، إِنَّهَا مُؤَقَّتَةٌ، هِيَ ذِي الْقَاعِدَةِ، عِنْدَمَا
 تَتَحَرَّكُ الشَّجَرَةُ، يَتَحَرَّكُ الظِّلُّ، شَمَمْتُ رَائِحَةَ غَزَالٍ كَانَ
 يَلْهَثُ وَيَسِيلُ عِرْقًا، عَجَلْتُ فِي السَّيْرِ، حَتَّى أَلْتَحِقَ بِلَيْلٍ
 يُوحِدُنَا، وَيُفَرِّقُنَا، تَحِيَّتُنَا كَانَتْ الْوَدَاعَ، أَضَاءَتْ نِيَّ، نَارُ
 سَيِّدَةٍ كَانَتْ تَرْشِدُنِي إِلَى قَمَرٍ يَتَكَاثَرُ أَزْهَارًا، قَبْلَ أَنْ تَرْمِي
 بِالْحِجَارِ، فِي الْحَرَمِ، ظَهَرْتُ لِي، فِي شَكْلِهَا الْأَبْهَى، ثُمَّ
 تَوَلَّيْتُ، وَخَنَقْتُ نِيرَانًا، تَفْتَرِسُ أَسَدَ رَابِتِي، بِالْحُمَى اخْتَمَمْتُ،
 وَاكْتَسَمْتُ بِمِزْقِ أَثْوَابِي الْمُحْرَوَقَةِ، رَتَقْتُ جَنَاحَهَا الْمَكْسُورَ،
 اخْتَفَتُ عِنْدَ مِضَاقِ صَفَرٍ كَانَ يُرِيدُ خَطْفَهَا إِلَى مَمْلَكَتِهِ، بَيْنَ
 دِرَاوِيَشَ أَكْمَامِهِمْ سَوْدَاءُ تُسْحَقُ لِأَزْوَرَدِ السَّمَاءِ.

عَلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ، تَحْتَ ظِلَالِ الصَّفْصَافِ، أَسْمَعُ اللَّحْنَ مِنْ
 شَجَرَةِ الْمَقَرِّ، أَشْمُ رِيحاً تَكْنِسُ الْمَمْشَى، الْمَزْدَجَمَ بِالأَشْيَاءِ
 الْبَالِيَّةِ، أَمْدُ يَدَيَّ، مِنْ الطَّائِلَةِ إِلَى الْكِتَابِ، أَلْمَسُ شَجَرَةَ
 الضَّوِّءِ، بِدَمِي أَخِيضُ قَطِيفَةً سَوْدَاءَ، تُغَطِّي الْمُكْعَبَ، أَنْشُرُ
 نَشِيدَ الشُّبَحِ عَلَى رَائِحَةِ النَّفْطِ، رِثَايَ قَنْدِيلَانِ، يُشْعَانِ فِي
 هَوَاءِ مَكَّةَ الْأَصَمِّ.

آيـام

مواقف ييل التّسعَة والتّسعون

من الهايكو إلى الشطحة

مواقف ييل التسعة والتسعون هو العنوان الذي يحمله هذا الديوان في أصله الفرنسي. وقد اخترتُ له عنوان آباء بالعربية، ذلك الاسم الأثوري الذي ينصت إليه الديوان ويمجده. لم يكن اختياري لاسم آباء مُمكنًا لو لم أَدْخِلُ تعديلاً على ما هو في الأصل الفرنسي «آبا». فالهمزة التي أضفتها في العربية أعطت الاسمَ طاقةً الجمع بين بداية حروف الأبجدية وخاتمتها بصيغة توحد بين الدلالي والشعري. وتلك هي لربما شطحة الترجمة، التي انتقلت بها اليدُ من حالة النقل إلى حالة الكتابة.

يختلف هذا الديوان عن قبر ابن عربي من حيث شكل المُقطَّعات. فهو هنا يمزج بين الهايكو الياباني وبين الشطحة المعروفة لدى الصوفيين العرب. فِعْلٌ لا يكشف عن نفسه إلا عند ممارسة قراءة هادئة تماماً.

فالقصائد، التي يتألف منها الديوان، عبارة عن ثلاثيات. ثلاثة أبيات لكل مُقطَّعة. لكن هذا العدد يتضمن الأساسي، وهو اقتصادُ الكتابة، أي ما تقوم عليه من خصائص البناء، في التركيب النحوي أو الدلالي على السواء، وهما معاً يتركان التجاوبات بين الهايكو والشطحة مفتوحة.

وما يحفز على التأمل هو كيف أن شكلاً، تندمج فيه ثقافتان شرقيتان وشكلان كتابيان متباينان تماماً، ينبثق في إقامة تمت بجامعة، في مدينة (نِيُو هَايْفِن) «ييل» الأميركية، التي لا هي تنتمي إلى الفضاء الشعري الياباني ولا إلى الخلوة الصوفية العربية. تجربةٌ شعرية تدلنا على بعض

مُسْتَغْلَقَات العملية الشعرية. ويبقى أن الفعل الشعري، هنا، يسعى لبلوغ حالة «الموقف»، في لمعة خاطفة، تركيباً أم كلمة أم حرفاً. وهو فعل يتطلب التقاطع مع العربية، التي حاولتُ بها الترجمة ونقل المقطعات إليها.

ترجمة آباء تكملة لديوان قبر ابن عربي، لا من حيث أن الثاني يسير في الطريق ذاته الذي كان للأول، بل لأن آباء طريق مختلف إلى الدرجة التي لا نعرف معها كيف يمكن الانتقال من عالم شعري إلى عالم آخر. لكن هذه القطيعة الظاهرة تُخفي ما يبقى في الكتابة، وهو الأثني والأنثوي. إنه عطش الكتابة، في سفر لا قرار له، من التجربة إلى المعرفة ومن المعرفة إلى التجربة. وهذا ما يسمح لنا بتغيير الرؤية إلى قضية الشكل في القصيدة عندما تصبح التجربة فعلاً كتابياً يخترق الحدود، دائماً، على سفر، في العطش، والسطحة.

محمد بنيس

7 أبريل 1999

1

إِصْبَعُ هَلْدَرَيْنِ
على عتبة القرن
زِيْزُ يغني

2

في القلعة تدقُّ الأجراسُ
بيديه يُمسِكُ الناقوسَ
والعظامُ ليسَ لها ارتِجَاجُ

3

فِي نَفْسِ الْمَعْمَلِ
يُنْصِتُ إِلَى الْأَذَانِ
وَهُوَ يَقْتُلُ شَاهِدَاتِ الْقُبُورِ

4

أَقْوَّاسٌ وَأَعْمَدَةٌ مِنَ الْأَنْدَلِيسِ
تَضُمُّ مَعْبَدَ الْإِخْوَانِ
حَيْثُ الْكَنْزُ يُلْمَعُ

5

يَطِيرُ عَلَى زُرِّيَّةِ خَضِرَاءَ
لَيْلًا تَنْفَتِحُ الصَّدَفَةُ
وَفِي عُمُقِ السَّمَاوَاتِ يَطَارِدُ اللُّؤْلُؤُ

6

الحافلةُ الصَّفراءُ تحلّق فوق النّوارس
في الزّبد يَغَطِسُ
ويغسل منديلَه الملطخ بالوَحْلُ

7

يجري السّنجبُ على حبالِ الكهرباءِ
إلى الحُمْرة تَمِيلُ الأوراقُ
وعابرةٌ مِنْ آسِيا تَتَفَحَّمُ

8

المَدِينَةُ قَدْرُ مطبَقٍ
ياكُلُ النّهارُ وُضلةَ الغِطاءِ
إصبعه المقطوعُ يقطرُ في الضّجيجِ

9

الصَّخْرَاءُ بِدَخِيلَةِ الْجَسَدِ
لَا فَائِذَةً لَّاسْتِخْلَاصِ الْمَاءِ
وَالْعَطَشُ لِقَلَاقٍ أبيضٍ مطوّقٍ بالسَّوَادِ

10

تَحْتَ سَقِيفَةٍ حَجَرِيَّةٍ فِيمَا الْكِتَابُ مُفْتَوِّحٌ
يُمَزَّقُ حِجَابَ الذَّاكِرَةِ
مُسْقَطُ الرَّأْسِ يَعُودُ إِلَى الْوُجُودِ

11

عَرَائِشُ الْبَحْرِ فَوْقَ رُفْرَفَةِ الْحُلْمِ تَغْنِي
زَهْوَرَ النِّسْيَانِ عَلَى مَدَى ارْتِفَاعِ الْهَضْبَةِ
يُهْدِيهِ الْبَحْرُ صِينَةً مِنَ التَّيْنِ

12

بَيْنَ أَلْسُنٍ بَيْنَ الْأَجْناسِ
راحلاً تائهاً في القاراتِ
يَكْتَشِفُ فِي نَفْسِهِ اسْمَ الْغُرُوبِ

13

صَدَى صَوْتِهِ يَخْتَرِقُ الْمَحِيطَ
يَحْمِلُ الْمَوْجُ جَسَدَ الزُّنُوجِ
ضَحَكْتُهُمْ تَنْفَخُ فِي الْأَشْرَعِ

14

تَنْفَتِحُ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ
تَسُدُّ الشَّيَاطِينُ الْمَدَاخِنَ
جَسَدٌ آخَرُ يَسْحَقُ جَسَدَهُ

15

يَضَعُ جَسَدَهُ فِي الْقَبْرِ
يَأْخُذُهُ ثَانِيَةً وَيُخْرِجُهُ إِلَى الْحَدِيقَةِ
أَعْصَابُهُ مَذْعُوكَةٌ وَالنَّدُوبُ مَلْتَهَبَةٌ

16

يَرْنُ الرُّغْدُ يَمْتَدُّ الْفَلَكَ
عَارِيًّا يَظِلُّ الْهِنْدِيُّ مُتْرَبِعًا تَحْتَ الْمَطَرِ
بِيَدِهِ يَعْصِرُ بَرْتَقَالَةَ الْقَبِيلَةِ

17

الرَّحِيقُ الْأَصْفَرُ يَرْشُ إِزَارَهُ
رَائِحَةُ الْمَنِيِّ مِنْ نَبَاتِ السَّنْطِ تَنْبَعُثُ
ثُمَّ تَحْتَ خَيْمَةِ الطُّفْلِ تَنْتَشِرُ

18

تُعَكِّسُ الْحَجَرَةُ عَلَى الزُّجَاجِ
هِيَ الْأَشْجَارُ مِقْيَاسٌ لِلْإِسْمَنْتِ
قَدَمَاهُ دَامِيتَانِ رَقَبَتُهُ مُنْكَسَرَةٌ

19

عَلَى الْخِيطِ فَوْقَ الْمِيَاهِ فِي السَّمَاوَاتِ
جَسَدُهُ يَرْتَجُّ بَيْنَ تَيَّارَيْنِ
نَشِيدُ زَنْجِيٍّ يَنَافِسُ الْفُلُودَ

20

حَارِسُ جَهَنَّمَ شَارُونُ شَبَحٍ حَقِيرٍ خَنُوعٌ
يَسُوقُ التَّكَاسِي وَهُوَ يَخْرِقُ الْقَانُونََ
يَقُولُ ادْفَعُوا حَسَبَ مَا يُؤْمَلِيهِ الْقَلْبُ

21

عند العَوْدَةِ يَجِدُ الهَوَاءَ عَلِيلاً
في الليل يَتَنَبَّهُ خَلْوَةً
تحت ارتجافاتِ المَجَازِيبِ

22

حيّاً كَبُودًا وسريعاً
يقظاً في تمامِ المركزِ مُتَمَنِّعاً
واقفاً لا يَتَحَرَّكُ عندَ خطواتِ الصمتِ

23

من فَرِيُولٍ من لُؤَارٍ مِنْ أَرَاغُونُ
من الأَرَجَتَيْنِ مِنَ الشَّيْلِ مِنْ كَالِفُورْنِيَا
ذَهَبِيَّةٌ تَجْرِي فِي عُرُوقِ إِلَآه

24

يُغَيِّرُ الطَّائِرُ الْمُحْجُوبُ شَكْوَاهُ
زَجَلُ الْحَمَامِ كَصَوْتِ صَارِيَةٍ يَنْطَلِقُ
فِي أَسْفَلِ الطَّيْرَانِ يَنْشُرُ جَنَاحِيَهُ

25

فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ يُصَارِعُ الْمَلِكُ
بِعُنُقِهِ الْجَرِيحَ يَعُودُ بِسَاعِدِهِ الْمُحْطَمِ
مَنَاعَتُهُ شَدِيدَةٌ ضِدَّ الْعُقُوبِ وَالْحَارِيَّةِ

26

زُرْقَةُ السَّمَاءِ صَاحِبَةٌ وَالسَّاعَةُ صَافِيَةٌ
يُحْمِلُ النَّسِيمُ نَعْمَةً وَارْتِعَاشًا
مُشَوِّهٌ هُوَ ذَا الْإِنْسَانُ النَّائِمُ عَلَى مَقْعَدٍ

27

أَنْتُمْ أَيُّهَا الدَّاخِلُونَ لَا تَخْلَعُوا زِعَالَكُمْ
فَالظِّلُ يَكْشِفُ الْحَرْفَ عَلَى الْجِبْهَةِ
وَاللُّغْزُ كَالسَّمِّ لَا يَزُولُ

28

فِي الْبَدْءِ تَنْطِقُ الصُّورَةُ بِالشَّيْءِ
ثُمَّ السَّتَارَةُ تَرْتَحِي فِي مِصْرَ فِي سُومَرِ
فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي الصِّينِ عِنْدَ الْأَنْكَا

29

رَفِيقُ النَّسْرِ وَالْأَفْعَى
مَقِيمٌ بَيْنَ الذَّئْبَةِ وَالسَّهْمِ وَالصَّلِيبِ
إِلَى الْهَاءِ وَالِدَائِرَةِ يَنْظُرُ الْأَلِفَ

30

لَوَحَّتْهُ الشَّمْسُ عَيْنَاهُ غَامِرَتَانِ
هِيَ الرُّؤْيَةُ مُحْجُوبَةٌ خَفِشَاءُ تَحْتَ الْقَمَرِ
جِبْهَتُهُ يَشْقُهَا جَنَاحُ الْبُومَةِ الصَّمْعَاءُ

31

خُطُوتَانِ بَعْدَ الْجَسْرِ هَا هِيَ الْحُدُودُ
بِخَفَةٍ يَلْمَسُ الْمُسْتَشْفِيَاتِ عِنْدَمَا الْمَسَاءُ يُنْتَشِرُ
قِبَالَةَ مِنْضِدَةِ الْبَضَائِعِ زُنْجِيَانِ وَشَبِيحُ

32

فِي الْأَفْقِ تُحْتَضِرُ الشَّمْسُ نَارِفُهُ
يَطُوفُ الْحَرَّاقُ إِشَارَةَ الضَّوِّ تَدُورُ
صَفَارَاتُ مَنْ نِيَكَلُ عَلَيْهَا تَنَعَكُسُ الصُّورُ

33

يحترق البيتُ تنحجب السماءُ
انسكابُ الماءِ يطفى النارَ
وفي آخرِ النهارِ مِنْ رَمَادِهِ ينبعثُ

34

سَمَاءٌ مِنْ الحَنَاءِ فَجْرٌ يَلْتَمَعُ
يكلِّمه النُّورُ عَنْ آيَاءِ
عَنْ آيَاءِ الإفريقيةِ البِيضَاءِ بِأَنْفِهَا اليُونَانِيُّ

35

في هَالَةٍ إعلاناتِ النِّونِ
يَصيحُ الزَّنجِيُّ تَغْلُهُ الشرْطَةُ
للطَّالِبِ الأشْقَرِ وَجْهٌ مُدَمَّى

36

فِي الطَّرِيقِ يَتَقَاطِعُ شَخْصَانِ
يَتَبَادَلَانِ التَّحِيَّةَ يَطْمَئِنَّانِ
لَيْسَ شَيْطَانًا هُوَ هَذَا التَّقَابُلُ

37

جُرَيْسٌ يَطْوِقُ الْعُنُقَ يَدُقُّ عِنْدَ الْخَطْوِ
تَنْطَفِئُ الْعَيْنَانِ وَالرَّجْلَانِ تَنْفَتِحَانِ
يَرَى إِلَيْهِ عِزَّةً بِثَدْيَيْنِ كَبِيرَيْنِ

38

لِمَاذَا يَتَعَرَّفُ عَلَى الْخَرِيفِ فِي امْرَأَةٍ
تَتَقَدَّمُ كُلُّ يَوْمٍ خَطَوَاتٍ
لَا بِسَةِ بِذِلَّةٍ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهَا

39

لَا يَلْتَفِتُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً
يَثْبُتُ وَجْهَهُ أَمَاماً يَشْحَذُ النِّظْرَةَ
ثُمَّ الرَّعْبُ يَسْتَوْلِي عَلَى الْجَسَدِ

40

الطَّرِيقُ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَيْهِ ضَيِّقَةٌ
آبَاءُ فِي مَرْكَزِ الدَّائِرَةِ الْمُشْتَعِلَةِ
وَحِيداً يَدْخُلُهَا مَنْ يَسْمَعُ الشَّجَرَةَ نَاطِقَةً

41

لَيْسَ لِلْغَرِيبِ مَنَفَذٌ إِلَى السَّرِّ
يَلْمُسُهُ الثَّانِي ثُمَّ عَنْهُ يَنْفَصِلُ
وَالْأَخِيرُ يَخَيِّمُ قُبَالَةَ الْمَدْخَلِ

42

كَيْفَ تَخْتَرِقُ الدَّائِرَةَ الطَّرِيقُ مَغْلَقَةٌ
وَالْمَدْعَى يَرْتَجِّحُ بَيْنَ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي
فِي مَتَصَفِّ الطَّرِيقِ يَسْتَوَلِي عَلَيْهِ الْقَلَقُ

43

لَيْسَ لِلْمَرْكَزِ بَابٌ آيَاءُ تُحْكِمُهُ
آيَاءُ فِي الْمَرْكَزِ تَعْنَفُ بِالْأَشْكَالِ
مَنْ الْفَالِتُ مِنْهَا أَكَانَ حَيًّا أَمْ مَيِّتًا كَانَ

44

أَرْبَعُ حَمَامَاتٍ يَطْرُنَ وَهِيَ جَامِدَةٌ تَبْقَى
يَهَيِّجُهَا الْحَسَدُ تَفَارِقُ الْغِيَابَ
تَمْنَعُهَا الْقُوَّةُ يُعْرِيبُهَا الشُّكُّ

45

يَدْنُو مِنَ الْحَرَمِ الْمَمْنُوعِ
لَا أَحَدٌ يَطُوفُ بِالْمَرْكَزِ
خَلْفَ الْحَاجِزِ يَسْمَعُ: آهْ

46

يَقُولُ لَهُ الضَّيْفُ انْسِ السِّرَّ
لَا شَيْءَ هُنَا مُغْلَقٌ كُلُّ شَيْءٍ وَاضِحٌ
لَكَ يُعْطَى وَلَا مِنْ مَعْنَى يُنْحَجِبُ

47

يَبْتَسِمُ يَعَانِدُ يَدْخُلُ كُلُّ مَكَانٍ
يَرَى الْكُلَّ لَا شَيْءَ يَنْغَلِقُ عَلَيْهِ
يَفْتَحُ الْقُلُوبَ لَا يَرَى سِوَى الْجُدُرَانِ

48

إِلَى أَيْنَ يَصْعَدُ حَتَّى يُدْرِكَ أَضْوَاءَ هَذِهِ الْبُقْعَةِ
مَحْرُوسَةً خَارِجَ الْمَدِينَةِ
وَفِي الطَّرِيقِ يَتَخَطَّى الْحَوَاجِزَ

49

الذَّهِيَّةُ الَّتِي يَشْرَبَانِ مَسَاءً فِي الْحَانَاتِ
عِنْدَ الْإِيطَالِيِّ عِنْدَ الْيَهُودِيِّ عِنْدَ الزَّنَجِيِّ
مَعاً يَزْنَانِ أَمَكْنَةَ الْقَارَاتِ

50

صَبَاحاً عَلَى الزَّرْبِيَّةِ الْخَضِرَاءِ نَوَارِسُ
أَحْجَارٍ بِيضَاءِ قُبُورٍ فِي صَحْرَاءِ
تُقَطَّرُ تَحْتَ الْأَمْطَارِ مُؤَامَرَةً

51

الشجرةُ بالدمعِ تصنعُ حجرَها الأسودَ
زورقُ جذعٍ يُطارِدُ التَّمساحَ
والطائرُ يَخترِقُ القِناعَ الضاحِكُ

52

السُّحْبُ بالُوناتُ فرح
قطنٌ مغزولٌ في عينِ الإبرةِ
أشعةٌ منسوجةٌ تُهَجِّرُ القُلُوبَ

53

طريقُ المنفى دُلُوهُ عَلَيْهِ
يُحَاذِي تَعَرُّجَاتِ النهرِ
وفي الغابةِ تحيطُ بهِ الحَيَوَاناتُ

54

الجذور دُرَجٌ يتعشّر فيها
يتحرّك السّنجابُ يتحوّل حرباءُ
وفي رغوّة الجداجدِ يرتمي

55

يقراً جالساً على مقعدٍ من الجلد الأخضرِ
وفي رواقِ الدّير تطلُّ النُّجوم بعيدةً
عندَ وقتٍ متأخّرٍ تتحوّل الحرباءُ إلى بومةٍ

56

يخلقُ الجنسُ لغةَ السّلبِ
بين السُّمو الغبطةِ السُّقوطِ
تحت الإفريزِ تبدأ العلاقةُ

57

يَلُغ سَهْباً شاسِعاً
فِيهِ بِكَلِمَاتِ الطُّيُورِ الْمَتَّجِهَةِ صَوْبَهَا الْعَيْنُ
يُرَعَى الْمَعْنَى الَّذِي يُنْكِرُهُ الشُّيُوخُ

58

مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ وَلَا تَفْحُصٍ وَلَا حَذَرٍ
غَرِيباً يَظَلُّ كَمَا جَاءَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ
فِي الْمَتَاءِ دَلِيلٌ يَسْتَبْطِنُهُ الدَّلِيلُ

59

بَحْثُهُ طَرِيدَةٌ تَخْتَفِي
طَرِيقُهُ صَعْبٌ مَعْنَاهُ غَامِضٌ
الْعِلْمُ يُنْكِرُهُ آثَارُهُ مُحْرِقَةٌ

60

عَلَى السَّاحَةِ تُلَمَّعُ الشَّمْسُ الْقَوَارِيرَ
أَرْوَاحٌ تَرَاغِقُ وَحُوشاً مَدَجَّةً
حَدِيقَةً مِنْ رَمَادٍ فِيهَا يَجْرِي الْوَلْدَانُ

61

خُضِرَةُ الْأَشْجَارِ تُؤَاسِي عَيْنِهِ
يَرْحَلُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُحَارِبِينَ
يُغَادِرُ عَالَمَ الْغُبَارِ

62

دَائِماً يَذْهَبُ غَرِيباً صَوْبَ الْفَرَاغِ
يَشُدُّ الْخَيْطَ الَّذِي يَفْتِقُ الظُّلَالَ
تُهْدِيهِ اللُّغَةُ هِبَاتٍ لَا مُنْتَظَرَةَ

63

فِي إِنْشِيقِهِ تَسْقُطُ الشَّمْسُ الذَّهَبَ
تَطْفُو الْمَدِينَةُ كُلُّ قَلْعَةٍ تَفْقِدُ ثِقْلَهَا
وَمَوْكِبُ الْعَاشِقِينَ يَنْزِلُ جَزِيرَةَ الْعَاشِقِينَ

64

يَرَى إِلَى الْمَدِينَةِ خَارِجَةً مِنْ بُخَارٍ وَرَدِيٍّ
مِنْ نَافِذَتِهِ يَسْتَقْبِلُ النَّسِيمَ
وَيَقْرَأُ أَرِسْطُو شَيْهًا بِأَيِّ نَاسِكَ

65

مَوْلُوداً تَحْتَ تَأْثِيرِ الْعَوْدَةِ إِلَى الْآلِهَةِ
إِنَّهُ الْمَاخُودُ بِعَاصِفَةِ الْقَمَرِ
رَاحِلاً، كَالْبُخَارِ، فَوْقَ الْأَمْوَاجِ

66

حَوْلَ جَمْرَةِ الشَّمْسِ يَتَشَرَّدُ الْقَمَرُ
كَامْرَأَةٍ تَطَارِدُ كَلْبَهَا
وَحَلَّ فِي الْبَقَايَا عِنْدَ طَرَفِ الْغَابَاتِ

67

نَرْدُ ضَخْمٌ مَرْمِيٌّ عَلَى صِينِيَّةٍ بِيضَاءَ
تُمْسِكُ يَدُهُ بِمَصِيرِ الْمَعْرِفَةِ
سِتَارَةُ الْمَرَمَرِ فِي مَعْبَدٍ مِنَ الشَّمْعِ

68

كَانَ بَوْدُهُ أَنْ يَرَاهَا تَسْقُطُ فِي الظَّلَامِ
تِلْكَ التُّفَاحَةُ الْحَمْرَاءُ الَّتِي تَهَيِّجُ الذُّنُوبَ
شُعَاعٌ أَخْضَرُ خَلْفَ الْغَابَةِ

69

الرايةُ خَفَّاقَةٌ كُرَّةُ الذَّهَبِ لَامِعَةٌ
فوق المَذْخَنَةِ يُومِضُ الضَّوْءُ الْأَحْمَرُ
وفي أَعْتَقِ لُغَةٍ يَلْقَى بِأُمْنِيَّتِهِ

70

يَلْبِسُونَهُ مُسَوِّحَ الشَّيْطَانِ بِالرُّكُوعِ
يَأْمُرُونَهُ يَجِيبُ أَنَا عَائِدُ
إِلَى النَّارِ فَالْجِبِلُّ لَنْ يَكُونَ رَمَاداً

71

غَرِيبٌ مَتَمَرِّدٌ
حَالُهُ فَارِغٌ ذَاكِرَتُهُ وَاضِحَةٌ
فَرِيدٌ مَعَذِبٌ حَسُودٌ مَهْمُومٌ

72

قديمٌ في السَّماءِ وعلى الأرضِ
خدمَ الملائكةَ خَدَمَ الإنسَ
للبغضِ الخيرُ للآخرينَ الشرورُ

73

يتشَفُ بِمِنْشَفَةِ سُوءٍ
مَنْ يُنْكِرُ الشَّرَّ يَجْهَلُ الْخَيْرَ
فِي النَّارِ يَذُوبُ الْقَلْبُ الْبَدَانِ تَبَدَّدَانُ

74

أبعدَ مِنَ السَّرِّ مُبَاشَرَةٌ قَبْلَ الْإِدْرَاكِ
مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ يَقُولُ لَهُ لَا تَكُنْ
فَيَكُونُ مِنَ الْأَوْجُودِ يَأْتِي إِلَى الْوُجُودِ

75

يُحَوِّمُ مضطرباً ذرّةً في الصَّحراءِ
قلبه صمغٌ مجوّفٌ غورٌ
بُذورُ الإلهي لا ترسُخُ فيه

76

لأيساً خرقاً وجهاً مُترباً حدقتين ناريتين
كنتُ اليدَ عشرةَ أصابعٍ مقطوعةً
بأصابعِهِمَا المَقْطُوعَةَ صَارِخاً يمدُّ اليدينِ

77

صينيّ! يقلّمُ أظافرَ امرأةٍ زنجيّةٍ
خلفَ الواجِهةِ البيضاءِ واليونانيّةِ
كانتُ قديماً طوابعُ البريدِ إلى القمرِ تُباعُ

78

يُولَدُ النَّهَارُ يَحِيلُ أَيْضَ كُلًّا مِنَ الْوَرْدِي وَالْأَخْضَرِ
كَالصُّورَةِ الَّتِي تُظْهِرُ فِي الْمَاءِ
فَجْرًا لَا كَفَجْرِ فِي غُرْفَةِ سَوْدَاءَ

79

نَاهِضًا جَسَدُهُ مَرُضُوضٌ رَقَبَتُهُ مِنْهُوَكَةٌ
ظَهْرُهُ مِنْكَسِرٌ قَنَاءُ الْأَعْصَابِ مَتَّقَدُهُ
مُشْبَعًا بِكَلِمَاتِ الْحَلَّاجِ أَوْ أَقْوَالِ الشَّيْطَانِ

80

الْجِدَارُ الْأَيْضُ يَسْتَقْبِلُ أَوَّلَ شُعَاعِ
شَفِيرَةٍ حَادَةٍ لِسَكِّينَ بِمِقْبَضِهَا الذَّهَبِيِّ
وَبُسْرَةٍ خَاطِفَةٍ إِلَى قَسَمِينَ يَتَكَسَّرُ الرُّمَحُ

81

مفتوناً بلوعةٍ هي صحراءُ الرؤيةِ
كالوليدِ مرتجاً بانتعاشةِ الصرخةِ الأولى
عند صدمةِ الضوءِ

82

سجنٌ أو جحيمٌ فيه المجرمون يتكدسون
من بين الأشقياء متضرعون حباً
أرواحٌ قدسية تخطفُ الأبصارُ

83

من غير عذابٍ ولا شقاوةٍ يعيش أحلامه
تواطؤُ الجرائمِ يتتهكُ ما لا يتتهكُ
ثم محملاً بثقلِ الحقِ يعودُ

84

قُبِضَ عَلَيْهِ سُجُنَ حُوكَمَ
صُلِبَ أَحْرَقَ رَمَاداً مَشُوراً صَارَ
وَبِرْذَائِلِهِ يُوصِي قَمَّةَ سَمَاءَ

85

يَضْحَكُ قَلِيلاً يَبْكِي بِلَا هَوَادَةٍ
جَمَرَاتٌ فِي الْكَعْبَيْنِ تَأْكُلُ الْمُخَّ
سَمْعُهُ مَتَقِدٌ أَسْنَانُهُ وَأَشْفَارُهُ أَيْضاً

86

نَهْرٌ مِنْ تَيْنِ الْهِنْدِ مِنَ الْعَقَارِبِ الْأَفَاعِي
فِيهِ يُلْقَى بِحُمُرِ الرُّغْبَةِ بِبَغَالِهَا
مَشْدُوداً إِلَى الْمَوْتِ يَبْدُلُ الْجِلْدَ

87

قَطْرَةٌ مِنْ تَقِيحِ هَذَا الْجُرْحِ فِي الشَّرْقِ
رُبَّمَا تَغْزُو أَهَالِي الْغَرْبِ الْأَقْصَى
مُتَوَحِّشُونَ مَطْبَقٌ عَلَيْهِمْ فِي عُبَادِ الشَّمْسِ

88

جِسْرٌ يَقْطَعُهُ بِأَسْرَعٍ مِنْ وَمِيضِ
كَوْكَبِ الزُّهْرَةِ يُوجِّهُ لَيْلَهُ
رِيحٌ تُؤَاوِرُ أَسْرَابَ الطُّيُورِ الرَّاحِلَةَ

89

كَمْ سَنَوَاتٍ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ وَكَعْبِهِ
تَرْكَعُ الْأُمَمُ لِأَصْنَامِهَا
وَالْإِلَاهُ الَّذِي هُوَ يَعُشِّقُهُ ضَاحِكٌ وَلَا يَبِينُ

90

فَوْقَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْجِبَالِ لُؤْلُؤَةٌ
تُضِيءُ نَهَاراً طَوِيلًا جَائِراً خَانِقاً
بِمَشَقَّةٍ يَتَنَفَّسُ بِيَدِهِ مُتْلَهِّفًا يَضْرِبُ عَلَى الْفَخِذِ

91

قَطْرَةُ الْبَارِحَةِ تُشْعِلُ النَّارَ فِي هَذَا النَّهَارِ
النَّهَارِ الَّذِي أُغْلِقَ عَلَيْهِ فِي تَابُوتٍ مِنَ الْجَمْرِ
النَّهَارِ الَّذِي يَقْتُلُ الْأَحْشَاءَ وَيَفْتَرُسُ اللَّحْمَ

92

قِنَاعٌ مِنْ سَعَفٍ يَخْمِي وَجْهَهُ
إِنَّ النَّهَارَ الْمَتَوَقَّدَ كِبْشَانٍ يَتَنَاطَحَانِ
قَدَمُهُ بِحَجَرَةٍ تَصْطَلِدُ إِيهَامَهُ يَذْمَى

93

مَاءٌ مِنْ ذَهَبٍ يَجْرِي فِي اتِّسَاعِ الْغَدِيرِ
عَلَى الشَّلَالِ يَسْتَبِقُ الْبُلُورَ الْمَتَكْسِرَ
الرَّنَّانَ فِي صُنْدُوقٍ يَغْطِي الْقَنْطَرَةَ

94

يَغْطِسُ أَسْفَلَهُ فِي حَوْضٍ مِنَ الزَّعْفَرَانِ
كَصَفَايَةِ الْقَهْوَةِ يَرْتَشِفُ التَّرَابَ الْمَبْلَلِ
وَعِنْدَ الْعُودَةِ تَهَيَّجُ قَدَمَاهُ سَرَبَ الْحَمَامِ

95

مُتَوْتِباً كَالَّذِي نَاصُورٍ جَاهِزاً لِلانْقِلَابِ
قَبْلَ أَنْ يُكْسَرَ مِسَلَاتٍ وَقُبُوراً
عَلَى مَخْزُونِ الْأَلْوَاحِ يَقْفِزُ

96

خلف الضوء سَاعَاتِ رَكْضٍ
وفي الكَمَائِنِ رَأَى عِلِمَ وَأَخَذَ
إنَّهُ النَّهَارُ اتَّسَعَ وَهِيَ هُوَ يَنْضَبُطُ

97

غَدَاً بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ سَيَعُودُ
سَيُحْمِلُ مَغْطَفَ مَلِكِ الثُّورْمَانِيِّينَ
تَمَجِيداً لِلْحُرُوفِ الْأَرْبَعَةِ

98

فِي يَوْمِ النِّهَايَةِ سَتُرْتَدِّي آيَاءُ عَشْرَ بَذَلَاتٍ
أَنْتِ لَكَ أَنْ تَحْلِيَ شَعْرَهَا تُجَرِّدَهَا
تَدْعُوهَا إِلَى مُغَادَرَةِ الْخَبَاءِ بِقَدَمَيْنِ حَافِيَّتَيْنِ

يطاردُ اللّوامعَ الوحشيّةَ اللوامعَ المُبلّلة
على الأوراقِ يميّزُ بينَ آثارِ آيَاءِ
يَلْمَسُهَا إنّها حارةٌ ومُرتعِشةٌ

بين مقامين

يتوقف السائرُ بين إقامتين، فضاءين، مقامين، حالين، يتهجُّ بوقفته، يهبُّ منتصباً، بين زمنين، يفتش عن اللحظة القصيرة التي يواجه فيها بكل قامته مقام الرؤية أو الكلام الصادر عن دواخله. ذلك هو مفهوم «المواقف» الذي أصله التصوف العربي. ولا بُد من الإشارة إلى أن لهذا المصطلح، أيضاً، مساراً طبيعياً في لغات عديدة، وخاصة ذات المرجعية المسيحية. وهو يكتسبُ معناه من الألم والعنف المودوعين في توقفات القصيدة. لكن هذا العذاب الفردي لا يطل المتعة ولا اللذائذ المأخوذة بحُمياً الحياة؛ إنه لا يرمي إلى تقبُّل الشر الذي يجري في الشوارع والمساكن التي تشق الأرض، ولا يدَّعي غسل العالم ولا تطهيره. كما أنه لا يهتمُّ بسط القصيدة باتجاه مدى يحد أفق الخلاص البشري. نيتي، هنا، هي أن أقترح على القاريء إجهاد ذاكرة لغيره ليترك حاضراً فيها شُعاع المصطلح الصوفي، كما أبدعه المتصوف محمد بن عبد الجبار النَّفَرِي، صاحب كتاب المواقف والمخاطبات ونظر له الشيخ الأكبر ابن عربي. على هذا النحو يُمكنني إخصابُ إرث كتابية قادمة من لغة أخرى، هي العربية، التي أرغمت النَّفَرِي، في النقطة القصوى من تجربته، على مواجهة المستحيل. فبالاتحاد مع المطلق يقوم

النفري بالتضحية بكامل طاقته اللغوية. ألا يعنى هذا أنه يتخلى عن كلماته من أجل أن يجعل منها هبة للذات العليا؟

تلك هي شعيرة النفري الذي يضاعف، في مواقفه، شخصيته، واهباً كتابته للمطلق حتى يبلغ النقصان الذي يُعكّر صفو اندماجه باللغة وبالعالم. إنه، إذن، يَمَكُرُ بنا نحن قراؤه كما يَمَكُرُ بنفسه، مالتاً ذلك المشهد (الذي يجري حواره فيه مع المطلق) بانفعالية وخضوع بمثلان تأليماً للذات لا شفاء منه. ينشأ الوهم، فعلاً، عندما نتوقف عن الاعتقاد بأن المطلق ذاته هو المتكلم وليس الشاعر الناطق على لسانه بجُمل مُركبة بمشيتته. وتبلغ الحقيقة عندما تدرك أبصارنا ومسامعنا أن المطلق ليس سوى ذاتٍ خلقها الشاعر. وحتى بُريح الشاعر ضعفه ويطمئنه، سواء أكانت حالته قلقاً أم غير راضية، يعلن عن كونه مُسلحاً بما يحتاج إليه، بعد أن مر باختبار التعلم الذي لا يُعفي من العقاب.

هكذا ارتبطت كلمة «المواقف» بالنفري، مترسخة في التصوف، ومن ثم فإنني هدفتُ إلى إضاءة المشهد، ولو بصوت هامس، يستقبل الكلمة الألفية التي تظل حية على الدوام. وإذا كنتُ، في عنوان قصيدتي، قد غيّرتُ مقصد المصطلح الذي يبدو أنه أصبح ملكاً للنفري، فإنني لا ألتزم بطريقته

التي يُستلهمها العنوان. إنني لا أعطي الكلمة للمطلق. هناك فقط كل ثلاثية (وهو شكل مقطعات القصيدة) تتركز في الخط المرسوم على امتداد تيهاني. تلك هي الوقفة بين حاليين، بين مقامين. وقفة تعلن عن السهر في سداد الموقف. واقفاً مثل انبعاث طوطم متحجر على قشرة الأرض.

لربما كان اتشاق التمثال محدداً باستعمال ضمير الغائب، حيث يتكلم الشاعر عن نفسه بواسطة الضمير، الذي هو في العربية دال على الغيبة. وهذا الاستعمال يساهم في أن يجعل الذات شخصاً آخر، نراه بوضوح أكثر عندما يخرج من المرأة، صورة من بين الصور، ويمكن تمييزه في موكب الأشباح والأشكال.

إن الحالات، حالاتي، معيشة، والمقامين تمت زيارتهما على طريق قضاء المعرفة المسكونة بالسلم والراحة، وهو ما لا يمنع من أن يكون هذا الفضاء مطوّقاً وأحياناً مُخرقاً بالمحكوم عليهم وبالشياطين.

فالداخل هجم عليه طقس مجهول وغريب. وقد قوّى، عبر الشق المفتوح بين الصيف والخريف، الانطباع الجهنمي بالثقل، وبالرطوبة والحرارة الخائفة. إنه جو يستولي عليك، كما لو كنت وحدة شيطانية في طريقها إلى التجسّد. عندها علمت، وأنا أوجّل صرامة وقساوة الشتاء، أن موطن الهند الحمر كان يتجاوب من غير حواجز مع مدار السرطان جنوباً ومع القطب شمالاً.

ويُخَدِّثُ أن اهُتِياج النصوص يَجْعَلُ الأمكنةَ في حالة جيشان
كما يُضاعفها. فقراءة دفاتر الرِّسَّام دُولاكُروا، الخاصة
بزيارته للمغرب، وكذلك مذكرات غُوستاف فلوبيير بين قسنطينة
وقرطاج، أعطت للفضاء الأميركي، الذي كتبتُ فيه مواقف،
نَفْساً من هواء يهب على من المغرب العربي. ثم بإيقاع نبيل
وحماس، غنَّت طواسين الحَلَّاج شخصَ القيامة التي تملأ
الجحيمَ المحيط بي. فيما تبريرات الشيطان الحاذقة، الدَّارسة
بفعل إملاء الحلاج لحجج المريد، تطبعُ الشر على قطيفة هي
جلدُ العالم.

هو ذاك الأصل المتنوع للخيوط التي تنسج مقطعات هذه
القصيدة. فبين النعمة التي أنعمت بها عليها الولادةُ وبين الزمن
الذي يُنهى بها، تبدَّى لي أن الأقوال السابقة تحرف اسم الشاعر
الألماني هلدولين الذي يبدأ بحرف الهاء، والشاعر الفارسي
الحسين بن منصور الحلاج، الذي يبدأ بحرف الحاء (وهما معا H في
اللاتينية) ثم أيضاً مقطع «الإشراقات» لرامبُو الذي يحمل عنوان الهاء
(H)، وهو لغزٌ يرُنُّ كأحجيةٍ محكومٌ عليها بأن تبقى من دون
جواب مُقنع.

عبد الوهاب المؤدب
باريس، في نوفمبر 1994

الفهرس

1. قبر ابن عربي 5
- تقديم : عشق يخاطر بالمتاهات (المترجم) 7
2. آياء : مواقف ييل التسعة والتسعون 85
- تقديم : من الهايكو إلى الشطحة (المترجم) 87
- بين مقامين (المؤلف) 123

المشروع القومى للترجمة

ت : أحمد درويش	جون كوين	اللغة العليا
ت : أحمد فؤاد بليغ	ك. مانهو باتيكار	الوثنية والإسلام
ت : شوقي جلال	جورج جيمس	التراث المسروق
ت : أحمد الحضري	انجا كاريستوكفا	كيف تتم كتابة السيناريو
ت : محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	ثريا فى غيبوبة
ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد	ميلكا إيفيتش	اتجاهات البحث الانسانى
ت : يوسف الأنطكى	لوسيان غولدمان	العلوم الإنسانية والفلسفة
ت : مصطفى ماهر	ماكس فريش	مشطو العرائق
ت : محمود محمد عاشور	أندرو س. جودى	التغيرات البيئية
ت : محمد معصم وعبد الجليل الأرنؤى وعمر حلى	جيرار جينيت	خطاب الحكاية
ت : هناء عبد الفتاح	فيسوفا شيمبورسكا	مختارات
ت : أحمد محمود	ديفيد برلونيستون وايرين فولتك	طريق الحرير
ت : عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميث	ديانة الساميين
ت : حسن الموين	جان بيلمان نويل	التحليل النفسى والأدب
ت : أشرف رفيق عفيفي	إدوارد لويس سميث	الحركات الفنية
ت : لطفي عبد الوهاب / فاروق القاضى / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب	مارتن برنال	أثينة السوداء
ت : محمد مصطفى بدوى	فيليب لاركين	مختارات
ت : طلعت شاهين	مختارات	الشعر النمساوى فى أمريكا اللاتينية
ت : نعيم عطية	جورج سفيريس	الأعمال الشعرية الكاملة
ت : يعنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح	ج. ج. كراوثر	قصّة العلم
ت : ماجدة العناني	صمد بهرنجى	خوخة وألف خوخة
ت : سيد أحمد على الناصرى	جون أنتيس	مذكرات رحالة عن المصريين
ت : سعيد توفيق	هانز جيورج جادامر	تجلى الجميل
ت : بكر عباس	باتريك بارندر	ظلال المستقبل
ت : إبراهيم السوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومى	مشوى
ت : أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	بين مصر العام
ت : نخبة	مقالات	التنوع البشرى الخلاق
ت : منى أبو سنه	جون لوك	رسالة فى التسامح
ت : بدر الديب	جيمس ب. كارس	الموت والوجود
ت : أحمد فؤاد بليغ	ك. مانهو باتيكار	الوثنية والإسلام (ط٢)
ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب	جان سوفاجيه - كلود كاين	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى
ت : مصطفى إبراهيم فهمى	ديفيد روس	الانقراض
ت : أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هويكنز	التاريخ الاقتصادى بإفريقيا الغربية
ت : د. حصة إبراهيم المنيف	روجر آلن	الرواية العربية

الأسطورة والعداة	بول . ب . نيكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد العداة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	ان سكستون	ت : محمد عبد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ملج
عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
الذهب المزدوج	لوكاتفيو پات	ت : المهدي أخريف
بعد عدة أصياف	ألنوس مكسلي	ت : مارلين تارمر
التراث المفقود	روبرت ج بنيا - جون ف أ فلين	ت : أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد علي
تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا بوما	ت : ماهر جويجاتي
الإسلام في البلقان	ه . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد بركة وعظمي لليلود ويوسف الأنطكي
مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانوييا وخ. م بينياليستي	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسي التعميمي	بيتر . ن . توفاليس وستيفن . ج .	ت : لطفي فطيم ومادل دمرداش
الدراما والتعليم	روجسيفيتز ووجر بيل	
المفهوم الإغريقي للمسرح	أ . ف . ألنجاتون	ت : مرسى سعد الدين
ما وراء العلم	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	جون بولكنجهوم	ت : علي يوسف علي
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فيريكو غرسية لوركا	ت : محمود علي مكي
مسرحيتان	فيريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد . ماهر البطوطي
المحبرة	فيريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
التصميم والشكل	كارلوس مونيث	ت : السيد السيد سهيم
موسوعة علم الإنسان	جوهانز ايتين	ت : صبري محمد عبد الغني
لذة النص	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعي .
برتراند راسل (سيرة حياة)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
في مدح الكسل ومقالات أخرى	آلان رود	ت : رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
مختارات	أنطونيو جالا	ت : عبد الطيف عبد الحليم
نتاشا العجوز وقصص أخرى	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
العالم الإسلامي في أولئ القرن العشرين	فالتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
	أرخينيو تشانج روبريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد هشاد

السيدة لا تصلح إلا للرعى	داريو غو	ت . حسين محمود
السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت . فؤاد مجلى
نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت . حسن ناظم وعلى حاكم
صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوف	ت . حسن بيومى
فن التراجم والسير الذاتية	أنثريه موروا	ت : أحمد درويش
چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت . سعيد الفانمى وناصر حلاوى
بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت . مكارم الغمرى
الجماعات المتخيلة	بنديكت أندرسن	ت . محمد طارق الشرقاوى
مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت . محمود السيد على
مختارات	غونفريد بن	ت . خالد المعالى
موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شبيحة
منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
نون والقلم	جلال آل أحمد	ت . ماجدة العنانى
الابتلاء بالتقرب	جلال آل أحمد	ت . إبراهيم النسوقى شتا
الطريق الثالث	أنتونى جينز	ت : أحمد زايد ومحمد محبى الدين
وسم السيف	ميجل دى تريبانس	ت . محمد إبراهيم مبروك
المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوسسكا	ت . محمد هناء عبد الفتاح
أساليب ومضامين المسرح		
الإسبانيونأمريكي المعاصر	كارلوس ميجل	ت . نادية جمال الدين
محدثات العولة	مايك فينرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
العب الأول والصحة	صمويل بيكيت	ت . فوزية العشماوى
مختارات من المسرح الإشباني	أنطونيو بوپرو بايخو	ت . سرى محمد محمد عبد اللطيف
ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت . أشرف الصباغ
تاريخ السونما العالية	ديفيد روينسون	ت : إبراهيم قنديل
مساطة العولة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت . إبراهيم فتحى
السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
قبر ابن عربى يليه آباء	عبد الوهاب المؤنب	ت : محمد بنيس

بين مقامين

يتوقف السائرُ بين إقامتين، فضاءين، مقامين، حالين، يتهجُّ بوقفته، يهبُّ منتصباً، بين زمنين، يفتش عن اللحظة القصيرة التي يواجه فيها بكل قامته مقام الرؤية أو الكلام الصادر عن دواخله. ذلك هو مفهوم «المواقف» الذي أصله التصوف العربي. ولا بُد من الإشارة إلى أن لهذا المصطلح، أيضاً، مساراً طبيعياً في لغات عديدة، وخاصة ذات المرجعية المسيحية. وهو يكتسبُ معناه من الألم والعنف المودوعين في توقفات القصيدة. لكن هذا العذاب الفردي لا يطل المتعة ولا اللذائذ المأخوذة بحُمياً الحياة؛ إنه لا يرمي إلى تقبُّل الشر الذي يجري في الشوارع والمساكن التي تشق الأرض، ولا يدَّعي غسل العالم ولا تطهيره. كما أنه لا يهتمُ بسط القصيدة باتجاه مدى يحد أفق الخلاص البشري. نيتي، هنا، هي أن أقترح على القاريء إجهاد ذاكرة لغته ليرك حاضراً فيها شُنع المصطلح الصوفي، كما أبدعه المتصوف محمد بن عبد الجبار النَّفَرِي، صاحب كتاب المواقف والمخاطبات ونظر له الشيخ الأكبر ابن عربي. على هذا النحو يُمكنني إخصابُ إرث كتابية قادمة من لغة أخرى، هي العربية، التي أرغمت النَّفَرِي، في النقطة القصوى من تجربته، على مواجهة المستحيل. فبالإتحاد مع المطلق يقوم

طبع بالهيئة العامة لشتون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠٨٢١ / ١٩٩٩

الترقيم الدولي (1 - 150 - 305 - 977 - I. S. B. N.)

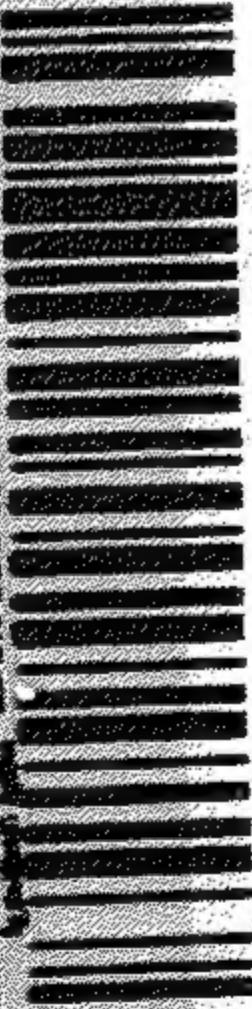


قبر ابن عربي بهاء آلاء

بين ابن عربي وعبد الوهاب المؤدب ثمانية قرون . شهادة على تبدل الزمن (التاريخي والثقافي) وعلى تبدل العاشق والعشيقة. لذلك فإن قبر ابن عربي إعادة كتابة حديثة لتجربة العشق، في زمن لم يعد يلتفت للعشق ولا للعشاق. لقاء يتحقق بعد ثمانية قرون، عبر تجربة شعرية تنفذ مباشرة إلى الزمن الشعري، الذي لا يتوقف عند الزمن التقني، التاريخي.

يخطف الشاعر الأثر الصوفي ليُلقي به بعيداً، في جهة مجهولة الذات ومن الكتابة. في المجهول، في دروب مبهجة لا تُفصح دائماً عن الجمال الساطع. تجربة الداخل تتوازي مع تجربة الخارج. في التباين بينهما، في الانبثاقات، في الحمى، تظل الحبيبة لصيقة بقلب متولّ، لا له ولا غرب. جمرة العاشقين تمتلئنا مثلما تمتلئ فضاء الديوان. حرارة الريح أو احتراق الأحشاء شيء مما يجعلنا مُرّين بالحروف اللانهائية للكتابة، حتى لا قدرة لنا على التنفس أو مقاومة يمحي من علامات الطريق، ونحن إلى الهلاك سائرون، نزل المنحدرات، فقراء، مجردين من الثياب.

Bibliotheca Alexandrina



0446957